صوت الجيل 16

العدد 16 من الإصدار الجديد 2023
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

وزارة الثقافة

2023

- حين يصبح الذكاء الاصطناعي سارداً مبدعاً/ علي شنينات
- أدب الشباب في العقبة/ هبة عصام
- كاتبان على طاولة في الجنوب/ فاطمة الهلالات تحاور أحمد الطراونة
- أهمية تفعيل المكتبات العامة للحد من (هجرة) القراءة الورقية/ديما الرجبي

الفنانة دانا محمد راشد محمد، الأردن

Sawtalgeel

صوت الجيل 16

العدد 16 من الإصدار الجديد 2023

مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

رئيس التحرير
جلال برجس

مدير التحرير
محمد المشايخ

سكرتيرة التحرير
فادية نوفل

أعضاء هيئة التحرير
تيسير الشماسين
علي شنينات
جعفر العقيلي

المدقق اللغوي
د. أنس الزيود

الإخراج الفني
يوسف الصرايرة

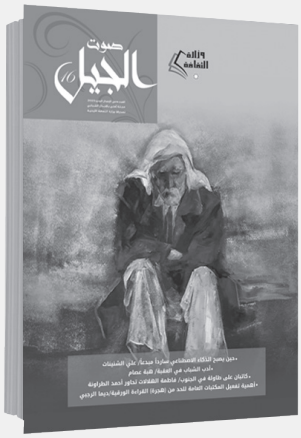

غلاف العدد

لوحة الغلاف للفنان: يوسف بداوي/ الأردن

المراسلات باسم مدير التحرير المسؤول للمجلة

E-mail: Sawtalgeel.m@culture.gov.jo

المواد المنشورة في هذا العدد تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

يمكن تصفح المجلة على موقع الوزارة
www.culture.gov.jo

العنوان البريدي
الأردن - عمان - ص.ب 6140
الرمز البريدي 11118 عمّان

للنشر في مجلة صوت الجيل يُرجى مراعاة ما يلي :

- تُرسل المواد مطبوعة إلكترونيًا مشفوعة بصورة عن الهوية الشخصية، أو جواز سفر لغير الأردنيين، على العنوان البريدي للمجلة.
- أن يكون الكاتب أردني الجنسية فيما يتعلق بالكتابات الإبداعية، أما الدراسات والنقد فلا يشترط ذلك، على أن تتناول الدراسات كتّاباً أردنيين من فئة الشباب.
- أن يكون المشارك من الشباب ضمن الفئة العمرية (18-35) عاماً.
- تقتصر الكتابة الإبداعية النثرية والشعريه على الشباب المبدعين فقط.
- الدراسات النقدية يمكن للكبار تقديمها بشرط أن تكون متعلقة بإبداعات شبابية، وبالثقافة الشبابية ومؤشراتها.
- أن تقدم المشاركات باللغة العربية الفصحية.
- ألا تتجاوز المادة النصية المقدمة 1200 كلمة.
- تُرسل الصور منفصلة عن المادة النصية في حال وردت في الدراسات النقدية على أن تكون بجودة عالية.
- تحتفظ المجلة بحقها في التصرف بالمواد التي تم نشرها ويشمل الحق في الطباعة الورقية والإلكترونية، ولا يجوز إعادة نشر مواد المجلة دون أذن خطي من هيئة تحرير المجلة.
- يرسل الكاتب اسمه الثلاثي، واسم الشهرة الذي يُعرف به، ورقمه الوطني للكتاب الأردنيين.

صوت الجيل
Sawtalgeel

المحتـويـات

البوابة الرقمية

- عتبة ..... جـــلال بـرجـــس 4
- حينَ يصبحُ الذكاءُ الاصطناعيُّ سارداً مبدعاً ..... علي شنينات 7

مصفوفة العدد

- أدبُ الشّبابِ في العقبةِ .. هل تصلُ أقلامُهم المُبحرةُ إلى الشاطئ؟ ..... إعداد : هبة عصام 16
- مدينة العقبة.. جنّةُ السياحة وجحيمُ المُثقّفين! ..... هبة عصام 17
- قراءةٌ في الواقع الثقافيّ لمدينة العقبة والتطلّعات المستقبليّة ..... د . محمود محمد الكركي 20
- كتّابُ العقبةِ بينَ البحرِ والمسافاتِ والمدوّناتِ الإلكترونيّةِ ..... ريناد القرارعة 23
- كتّابُ العقبةِ بينَ الأمنياتِ والواقع ..... عبد الله الزغول 26
- أدب الشباب في العقبة في درب الغياب ..... رباب زربتلي 29

ملتقى الأجيال

- كاتبان على طاولة في الجنوب .. فاطمة الهلالات وأحمد الطراونة ..... حوار: فاطمة الهلالات 33

وردٌ بلدي

- الجنـوب ..... ديالا البطوش 40
- أمضي إليَّ ..... محمد عويس 42
- أمّي وماكينةُ الخياطة ..... دعاء الزيود 46
- هـذيـان ..... رندا المهر 48
- من الصّفر ..... عروبة الخوالدة 50

العدد 16 من الإصدار الجديد 2023
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية
16
2023

contents

خرائط البوح

- عندما فاتني القطار ..... ابتسام الخواطر 54

المختبر

- النّماذجُ البشريّةُ في مجموعة (صَلْصال) القصصيّة لهشام مقدادي ..... خولة شخاترة 58
- «بروكا» تتبعُ الحكاية في البلاد البعيدة ..... عزة سلطان 61
- أهمّيّةُ تفعيلِ المكتباتِ العامّةِ للحدّ من «هجرةِ» القراءةِ الورقيّة ..... ديما الرجبي 64
- صورة «البترا» وتجلّيات المكان في رواية «نفرتاري الرقيم» للكاتبة صفاء الحطاب ..... مُحَمّد دَلّكي 67
- أيّها الشّباب تريّثوا قليلاً - وزارة الثقافة الأردنية/ مجلة صوت الجيل نموذجاً ..... رشاد رداد 71
- الأدباءُ الشّبابُ في العراق بينَ متاهات الحريّة وتعدّد الأيديولوجيا ..... د. سعد التميمي 77

مراسيل

- مأساةُ الكاتبِ الموهوبِ مع القارئِ السّيّد ..... إيهاب مصطفى 83

نقوش

- دَرَجُ الكلحةِ ..... ياسمين عكه 89

عتبة

لا نصائحَ لدربِ الكتابةِ إلّا مصابيحُكم الداخليّة

تحدّثَ (ماريو فارغاس يوسا) في بداية كتابه (رسائل إلى روائيّ شابّ) عن شرط الميل الأدبيّ في الكتابة بالرغم من غموضه، ودفع باتجاه أن ينحاز كلّ مَنْ يجدُ في داخله هذا الميل إلى الأدب مهما كلّفه ذلك؛ لأنَّهُ هو الطريق الأمثل للعيش. السؤال الذي يُلِحُّ عليَّ في معرِضِ هذا الحديث عن نصائح الكتابة: كم كاتباً شابّاً وجد أنَّ نصائح (ماريو فارغاس يوسا) وحدَها كانت كفيلةً بأن تزجَّ به في عالم الكتابة، وبالتالي النجاح فيها؟

في البدايات طلبتُ من الراحل مؤنس الرزاز نصيحةً، فدفع بأن أقرأ المزيد من الإصدارات الأدبيّة، وبأن أؤمنَ بما أنا ذاهبٌ إليه. اعتقدتُ حينها أنَّ تلك النصائح غير كافيةٍ لواحدٍ مثلي، يريد أن يتأكّد من صوابه في اختيار الطريق التي يقف في أولها، تتملّكه الحيرةُ والرغبةُ بالتراجع عن الإقدام على منطقة ليست سهلةً على الإطلاق.

وحين التقيتُ بالروائيّ هاشم غرايبة في أواخر الثمانينيّات، سألته: ما الذي سيتبع روايات ما بعد الحداثة، وطلبتُ منه نصيحةً تُضيء الدرب أمامي. قال: إنَّ مزاج ألف ليلة وليلة في الكتابة الروائيّة هو الذي سيُصبح سائدًا بعد هذه المرحلة التجريبيّة، وما من نصيحةٍ أكثرَ فائدةً من القراءة.

قرأتُ في ما بعد كثيرًا من الكتب والمقالات التي تقدِّمُ نصائح وإرشادات في الكتابة الأدبيّة، حتى إنّني سعيتُ إلى معرفة طقوس الأدباء، وكيف كانت بداياتهم. السؤال عن الكتابة سؤالٌ عن أمرٍ غير ثابت، ليس له قواعد محدّدة بشكل كامل، لهذا فإنَّ النصائح ستكون على هذا المنوال نفسه، غير ثابتة، هي مجرّد نصائح يمكن أن تنفع بعض الأفراد، ويمكن ألّا يجد بعضهم الآخر فيها ضالّتهم، لكن تبقى الحاجةُ مُلحّةً لما يشبه الضوء في الدلالة على الطريق، أين تقع؟ وأين بدايتها؟

أمّا المضي في الطريق، فهذا شأنٌ آخرُ؛ لأنَّ المضي فيه لا يحتاج إلّا للضوء الداخليّ للكاتب، إنَّها حقيقةٌ لا ثانية لها، فمهما تسلّح من قرّر خوض غمار هذه التجربة بنصائح كبار الكُتّاب، وبعصارة تلك المحطّات التي أفضت بهم إلى المُضي والنجاح في الكتابة، لن يدلَّه إلّا مصباحه الداخليّ، الذي بطبيعة الحال هو الموهبة التي يتوهّج نورها بزيت يتشكّل كنتيجة حتميّة للخبرة الحياتيّة، وخبرة الممارسة في الكتابة، فالنصّ الأوّلُ ليس هو النص الذي كُتِبَ بعد مضي عشرين سنة. يبدو لي هذا الأمرُ أشبهَ بممارسة المشي منذ الخطوة الأولى التي عادةً ما تكون مرتبكة، ومتهوّرة، ثم مع مرور الخطوات تُصبح أكثرَ اتزانًا وقوةً.

يرى الروائيّ المصريّ الكبير خيري شلبي في إحدى حواراته، وفي معرض نصائحه للكُتّاب الشباب، أنَّ على الكاتب مُعاركة الحياة من كثير من الجهات، عليه أن يُجرّب الكثير من المستويات المعيشيّة، والمهن، والأماكن، عليه أن يعيشَ مثلًا شعور الخبّاز أمام الفرن في يوم صيفيّ حارّ، عليه أن يفعلَ ذلك، ليس فقط ليربحَ الخبرة في الحياة، وينال القوة، إنّما أيضًا ليكونَ صادقًا في رسم الشخصيّة، والوصول إلى درجة كبيرة من الإقناع في كتابتها إن قرّر ذلك.

ونحن في عزّ ثورة الاتصالات، وما وفّرته لنا من إمكانيّة الوصول إلى المعلومة كتابةً وصوتًا وصورةً، رأى بعض الكُتّاب أنّ من الممكن الكتابةَ عن مكانٍ عن بعد، مُستعينًا بتكنولوجيا الاتصالات. ربما يحدث هذا، لكنّي أؤمنُ أنَّ هذه التكنولوجيا غير قادرة على توصيل الذبذبات الأصيلة لروح المكان، وغير قادرة على خلق اللحظة الشعوريّة في التماهي بين الإنسان والمكان، لهذا ظهرت كثيرٌ من الروايات – خاصّة التي يكتبها الشباب – مُفرغةً من روح أماكنها، وروح الشخصيّة، بل حتى من محتواها الأصيل، حين يتمّ التعامل مع مضامينها المعلوماتيّة وَفْقَ ما توفّره تكنولوجيا الاتصالات.

تبدو لي نصيحة خيري شلبي، ونصائح آخرين من الكُتّاب صحيحة، لكن إمكانيّة تجاوزها وعدم الأخذ بها، تبقى في الحدود الاستثنائيّة والضيّقة لإنجاز رواية مقنعة. هناك الكثير من النصائح والطقوس والمؤشّرات التي يمكن أن يحاول الكاتب الاستنارة بها، لكنّها لن تصنع كاتبًا بمفردها، فالكتابة موهبة، لكن هذه الموهبة تأخذ النسبة الأقلّ من جملة العناصر التي تقفُ وراء النجاح في الكتابة، إذ إنَّ فكرة الوحي ليست إلّا فكرة غنائيّة شعريّة، إذا ما انتبهنا إلى قيمة الاشتغال الجادّ على النّصّ وما قبله.

يقول (غابرييل غارسيا ماركيز) في مقابلة مع The Paris review: «إذا كان عليَّ أن أُسديَ لكاتبٍ شابّ نصيحةً، فإنّ أول ما يخطر على بالي: اكتبْ عن شيءٍ حدث لك، من السهل أن تعرفَ إذا كان الكاتبُ يكتب عن شيءٍ حدث له أو عن شيء قد قرأه أو قيل له». يقول (بابلو نيرودا) في سطر من قصائده: «ساعدني يا الله، ألّا أخترع وأنا أغنّي».

يسعدني دائمًا أنَّ غالبيّة الإطراء لأعمالي يكون على الخيال الواسع، في حين إنَّ الحقيقة كلّ أعمالي لا تحوي سطرًا واحدًا ليس له أساس في الواقع، وهذا اللبس الذي يواجه القرّاء يحدث بسبب ثقافة الواقع الكاريبي الذي يُجسِّد بطبيعته أغرب الخيالات.

الكتابةُ الأدبيّةُ بمختلف أشكالها ليست مستقرّة، ولو كانت كذلك لما جنينا تعدّد المدارس الأدبيّة، وكلّ تلك التطوّرات في الأدب، والنصائح، ما هي إلّا وجهة نظر من زاوية تخصّ فردًا واحدًا احترف الكتابة، يمكن لهذه النصائح أن تجد طريقها إلى كاتب شابّ يستنير بها، ويمكن أن تُفيد الكثير، لكن النصيحة الأهمّ – في رأيي – لأيّ أحدٍ من هؤلاء الذين يقفون على مفترق طرق، ويُفكّرون في وضع القدم سعيًا للخطوة الأولى في الكتابة، أن يُنصتوا لصوتهم الداخليّ، ويمضوا إلى الأمام على نور مصباحهم الداخليّ أيضًا.

جلال برجس
رئيس التحرير

البوابة
الرقمية

حينَ يصبحُ الذكاءُ الاصطناعيُّ سارداً مبدعاً

علي شنينات

حينَ يصبحُ الذكاءُ الاصطناعيُّ سارداً مبدعاً

علي شنينات

الذكاء الاصطناعيّ (AI) هو فرع واسع النطاق لعلوم الكمبيوتر، يهتمّ ببناء آلات ذكيّة، قادرة على أداء المهامّ التي تتطلّب عادةً ذكاءً بشريّاً في التعلّم الآليّ والتعلّم العميق على وجه الخصوص، في حين إنَّ الذكاء الاصطناعيّ هو علم متعدّد التخصّصات مع مناهج متعدّدة. يسمح الذكاء الاصطناعيّ بنمذجة أو حتى تحسين قدرات العقل البشريّ، ومن تطوير السيّارات ذاتيّة القيادة إلى انتشار أدوات الذكاء الاصطناعيّ التوليديّة مثل ChatGPT و Google›s Bard.

إنَّ التطوّرات تخلُقُ نقلةً نوعيّةً في كلّ قطاع تقريبًا، من صناعة التكنولوجيا للآلات، وتستثمر الشركات في كلّ صناعةٍ منها، وهكذا أصبح الذكاء الاصطناعيّ بشكل متزايد جزءًا من الحياة اليوميّة.

عندما يُفكّر المرء في التكاليف الحسابيّة وفي البنية التحتيّة للبيانات التِّقنيّة التي تعمل خلف الذكاء الاصطناعيّ، فإنَّ التنفيذ الفعليّ على الذكاء الاصطناعيّ هو عمل مُعقّد ومكلف جدّاً، لحسن الحظ حدثت تطوّراتٌ هائلةٌ في تكنولوجيا الحوسبة، كما هو مبيّن في قانون مور، الذي ينصّ على أنَّ عدد الترانزستورات على الرقاقة الدقيقة يتضاعف كلّ عامين تقريبًا، بينما تنخفض تكلفة أجهزة الكمبيوتر إلى النصف، على الرغم من أنَّ العديد من الخبراء يعتقدون أنَّ قانون مور من المحتمل أن ينتهيَ في وقت ما في عشرينيّات القرن الواحد والعشرين، فقد كان لهذا تأثير كبير على تِقْنيّات الذكاء الاصطناعيّ الحديثة، وبدون ذلك سيكون التعلّم العميق غير وارد من الناحية المالية.

وجدت الأبحاثُ الحديثةُ أنَّ ابتكار الذكاء الاصطناعيّ قد تفوّق في الواقع على قانون مور، حيث تضاعف كلّ ستة أشهر أو نحو ذلك، مقابل عامين. من خلال هذا المنطق كانت التطورات التي حقّقها الذكاء الاصطناعيّ في مجموعة متنوّعة من الصناعات كبيرة على مدار السنوات العديدة الماضية، ويبدو أنَّ احتمال حدوث تأثير أكبر خلال العقود القادمة أمرٌ لا مفرّ منه، وسوف يتجاوز ما يمكن أن يتخيّله الإنسان.

ظهرت الروبوتات الذكيّة والكائنات الاصطناعيّة لأول مرة في الأساطير اليونانيّة القديمة، وكان تطويرُ أرسطو للقياس المنطقيّ، واستخدامه للاستدلال الاستنتاجيّ، لحظةً أساسيّةً في سعي البشريّة لفهم ذكائه، وفي حين إنَّ الجذور طويلة وعميقة، فإنَّ تاريخ الذكاء الاصطناعيّ كما نفكّر فيه اليوم، يمتدّ لأقلّ من قرن.

نظريّةُ العقلِ وتطبيقها بالذكاء الاصطناعيّ

بمجرد أن يتمّ إنشاء نظريّة العقل، في وقت ما في مستقبل الذكاء الاصطناعيّ، فإنَّ الخطوة الأخيرة ستكون أن يصبح الذكاء الاصطناعيّ مُدرِكًا لذاته، وسيكون قادرًا على فهم ما قد يحتاجه الآخرون، وحالتهم العاطفيّة، بالإضافة إلى وجود الآخرين، ويفهم وجوده في العالم.

يمتلك هذا النوع من الذكاء الاصطناعيّ وعيًا على مستوى الإنسان، على أساس ما يوصلونه إليهم، كما يعتمد الوعي الذاتيّ في الذكاء الاصطناعيّ على فهم الباحثين البشريين لفرضيّة الوعي، ثم تعلّم كيفيّة تكرار ذلك، بحيث يُمكن بناؤه في الآلات التي ستكون بديلاً ذكيّاً للإنسان بدون أيّ احتماليّة للخطأ، أو الفقدان والضياع.

نظريّة العقل هي مجرّد نظريّة تعتمد على المفهوم على الافتراض النفسيّ؛ لفهم أنَّ الكائنات الحيّة الأخرى لديها أفكار وعواطف تؤثّر على سلوك الذات والحيوانات والآلات الأخرى، واتخاذ القرارات من خلال التفكير الذاتيّ والتصميم بشكل أساسيّ.

أمّا في ما يتعلّق بآلات الذكاء الاصطناعيّ، فلم تُحقّق بعدُ القدراتِ التكنولوجيّةَ والعلميّةَ اللازمةَ للوصول إلى المستوى التالي من الذكاء الاصطناعيّ، كأن تكون الآلاتُ قادرةً على استيعاب مفهوم «العقل» ومعالجته، ثم استخدام هذه المعلومات لاتخاذ قراراتهم بأنفسهم، مع تقلّبات المشاعر في عمليّة صنع القرار، وسلسلة من المفاهيم النفسيّة الأخرى في الوقت الفعليّ، ممّا يؤدّي إلى إنشاء علاقة ثنائيّة الاتجاه بين الناس والذكاء الاصطناعيّ.

الذكاءُ الاصطناعيُّ بوصفه سارداً

بشكل عام يمكن لأنظمة الذكاء الاصطناعيّ أداء المهامّ المرتبطة بشكل شائع بالوظائف الإدراكيّة للإنسان، مثل تفسير الكلام، وممارسة الألعاب، وتحديد الأنماط، والبحث عن أنماط مُنمذجة في صنع القرار الخاصّ بهم، ويتعلّمون عادةً كيفيّة القيام بذلك عن طريق معالجة كمّيّات هائلة من البيانات.

سيُشرفُ البشر على عمليّة تعلّم الذكاء الاصطناعيّ، ممّا يُعزّز القرارات الجيّدة، ويُثبّط القرارات السيئة، لكن بعض أنظمة الذكاء الاصطناعيّ مُصمّمة للتعلّم دون إشراف، على سبيل المثال من خلال ممارسة لعبة فيديو مرارًا وتكرارًا، حتى يكتشفوا في النهاية القواعد وكيفيّة الفوز. ومع تحسّن جودة اللغة الطبيعيّة التي تولِّدها أنظمة الذكاء الاصطناعيّ، يمكن أن تدعم واجهات الكتابة التدخّلات التي تتجاوز التدقيق النحويّ والتدقيق الإملائيّ، مثل اقتراح المحتوى لإثارة أفكار جديدة؛ لاستكشاف إمكانيّة الكتابة الإبداعيّة بالآلة.

من المؤكّد أنَّ الكُتّاب المتمرّسين أحيانًا يحذفون عن غير قصد معلوماتٍ من كتاباتهم، ممّا يجعل القصصَ غيرَ مفهومةٍ من قبل الآخرين. إنَّ استكمالَ مثل هذه المعلومات المحذوفة عن غير قصد باستخدام جهاز كمبيوتر، مفيدٌ في مجال فهم القصة وتوليدها، لذلك تمّ اقتراح إكمال القصة. إنَّ كتابة قصة ليست أبداً أمراً سهلاً، على الرغم من أنَّ قابليتها للتطبيق محدودة؛ لأنّها تتطلّبُ أن يكونَ لدى المستخدم معرفةٌ مسبقةٌ بالجزء المفقود من القصة، لهذا تمّ توفير الدعم الكتابيّ للتعويض عن هذه المشكلة لتوليد الأجزاء المفقودة من قصة غير مكتملة.

يمكن استخدام تنبّؤ الموقع المفقود (compass)، يُتيح هذا الأخير للكاتب مزيدًا من المرونة في استخدام المعلومات، من خلال جعل المخرجات الوسيطة بين الوحدات صريحة، واقتراح التنبؤ بالعديد من الجمل المفقودة، أو الحكم على ما إذا كانت هناك أحكام مفقودة في المقام الأول أم لا.

حماية حقوق المؤلِّف للذكاء الاصطناعيّ

تؤكّد نتائجُ تجربة المستخدم التي شارك فيها مبدعون محترفون يكتبون نصوصًا باللغة اليابانيّة، فعاليّةَ النظام المُطوَّر وفائدته. هدفت هذه الدراسة إلى اقتراح نظام دعم الإبداع، وفي الوقت نفسه بناء علاقة ثقة بين المبدعين والباحثين لوضع الأساس للبحث والتطوير المستقبليّ للذكاء الاصطناعيّ، في اليابان اجتازت رواية جديدة مشتركة بين البشر والذكاء الاصطناعيّ الجولة الأولى من إحدى الجوائز الأدبيّة، ويقول الأستاذ «جان لويس ديساليز» – وهو مؤلف كتاب عن الذكاء الاصطناعيّ – إنَّ «هذا الذكاء يمكن أن يكتب قصة قصيرة جدّاً وقصصاً مُقنّنة جدّاً، كما أنَّ منصّة «واتباد» على الإنترنت للروايات والقصص القصيرة، فتحت دار نشر خاصة بها لتحديد أفضل النصوص، وطوّرت برنامجاً يسمّى ستوري دي إن أي (Story DNA) بفضل تِقنيّات التعلّم العميق.

ولتوضيح جوهر حقّ المؤلف في سياق ما كان وما يمكن أن يكون، لفت الانتباه إلى الواقع المتغيّر، وتوسّع الذكاء الاصطناعيّ كمؤلّف محتمل لعمل معيّن، والذي يحقّ له، بصفته المُبدِعَ، الحصولَ على الحماية القانونيّة، إذا افترضنا أنَّ الحلزون والسرطان يمكن أن يكونا سمكةً، والجزرة يمكن أن تكون ثمرةً، والآلة لا يمكن أن تكون مُخترِعةً لأنَّها مجرّد أداة، فما هو حقّ المؤلّف في حياة الإنسان؟ ما هو الفرق بين الذكاء الاصطناعيّ في قانون حقوق النشر والذكاء الطبيعيّ لمؤلِّف مبدعٍ معيّنٍ؟ إذا كان كلاهما إبداعينِ ذكيينِ؟

لماذا هناك حديث عن ذكاء أعلى من الطبيعيّ في موقفٍ لا يتعلّق كثيرًا بشيء جديد تمامًا، ولكن عن شيء أفضل، وأسرع، وأكثر دقّة، وأكثر كفاءة، في بعض النواحي من الذكاء الإنسانيّ. في العام الفائت (2022) حصلت الأمريكيّة «كريس كاشتانوفا» على أول حقوق ملكيّة فكريّة أمريكيّة لرواية مصوّرة، أبدعتها باستخدام أنظمة قائمة على تِقْنيّات الذكاء الاصطناعيّ.

المصادر:

Creativity and artificial intelligence» -Margaret A. Boden»
Artificial intelligence» – Jerry Caplan»

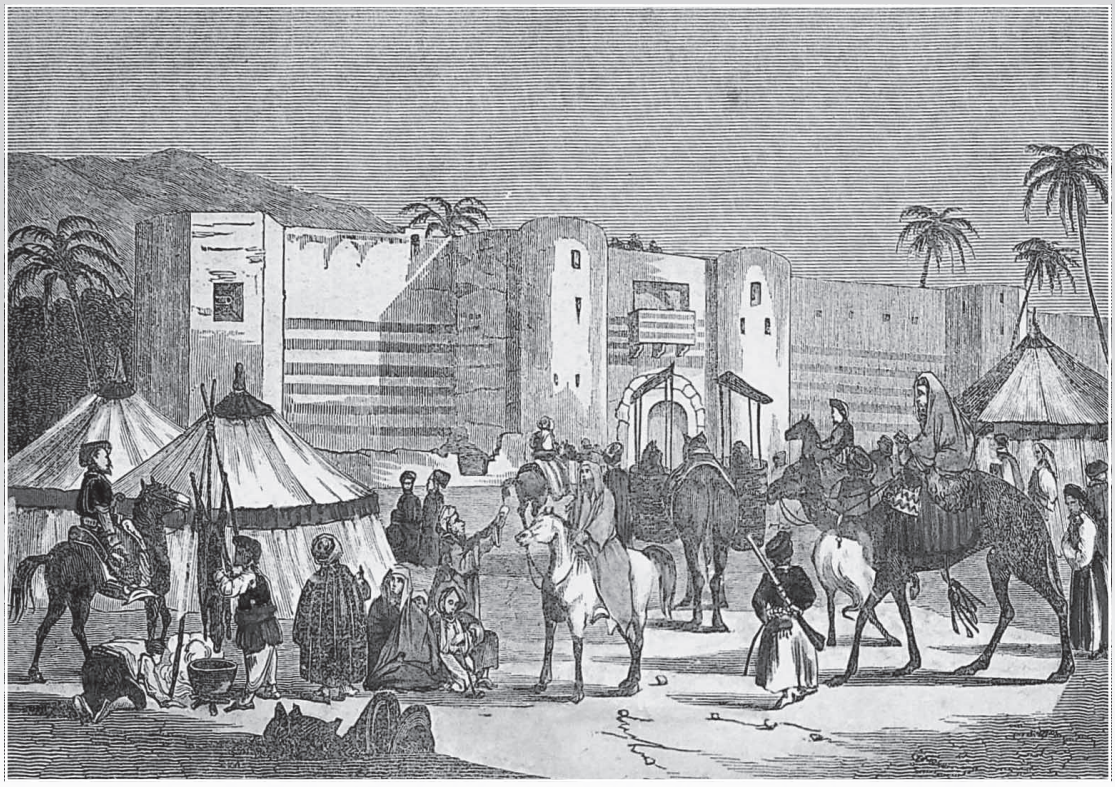

AQABA, Jordan view 1835

العدد

أدبُ الشّبابِ في العقبةِ

هل تصلُ أقلامُهم المُبحرةُ إلى الشاطئ؟

إعداد: هبة عصام

- أدبُ الشّبابِ في العقبةِ .. هل تصلُ أقلامُهم المُبحرةُ إلى الشاطئ؟ ..... إعداد: هبة عصام
- مدينة العقبة.. جنّةُ السياحة وجحيمُ المُثقّفين! ..... هبة عصام
- قراءةٌ في الواقع الثقافيّ لمدينة العقبة والتطلّعات المستقبليّة ..... د. محمود محمد الكركي
- كتّابُ العقبةِ بينَ البحرِ والمسافاتِ والمدوّناتِ الإلكترونيّةِ ..... ريناد القرارعة
- كتّابُ العقبةِ بينَ الأمنياتِ والواقع ..... عبد الله الزغول
- أدب الشباب في العقبة في درب الغياب ..... رباب زربتلي

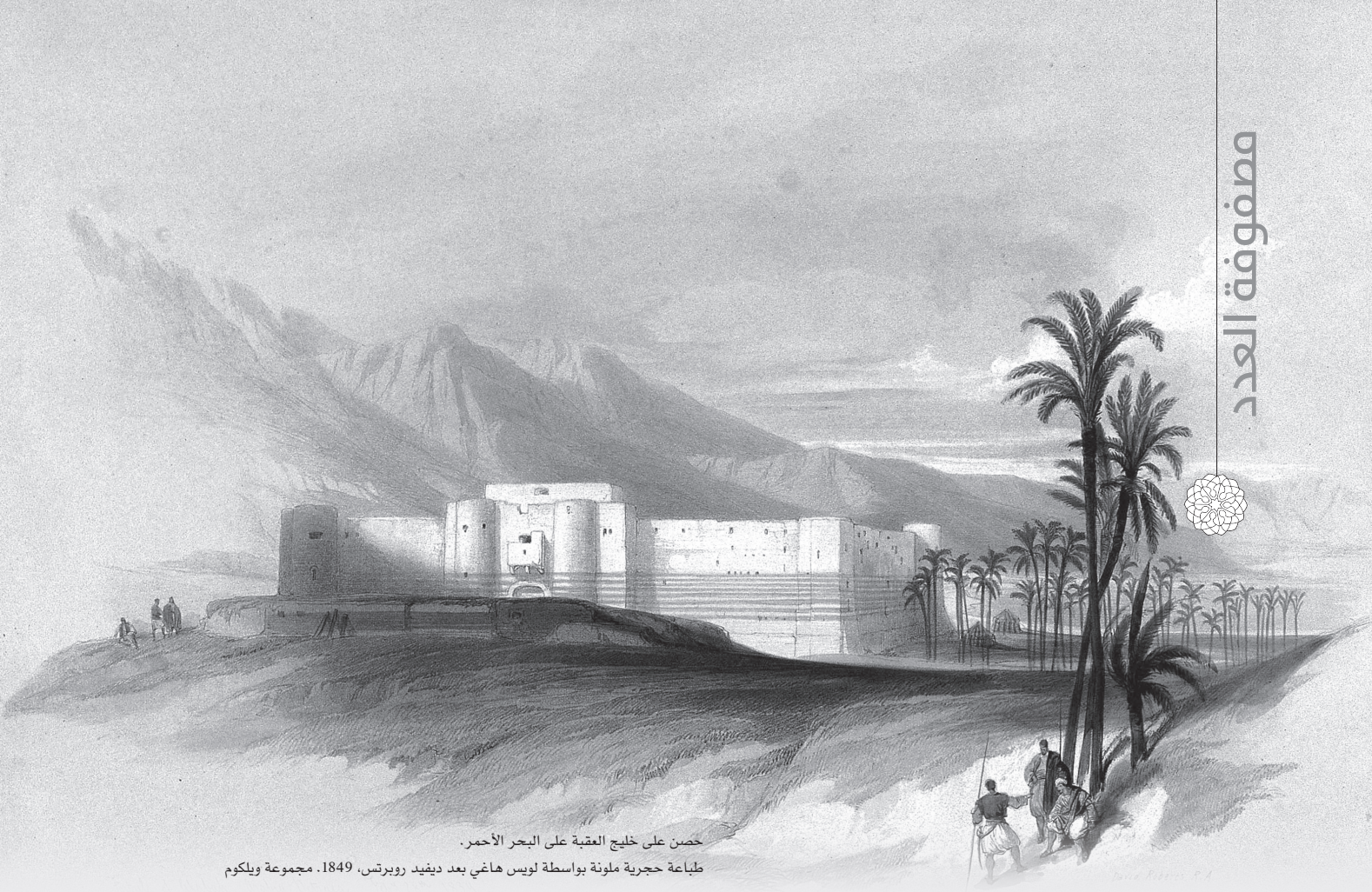

حصن على خليج العقبة على البحر الأحمر.
طباعة حجرية ملونة بواسطة لويس هاغي بعد ديفيد روبرتس، 1849. مجموعة ويلكوم

أدبُ الشّبابِ في العقبةِ
هل تصلُ أقلامُهم المُبحرةُ إلى الشاطئ؟

إعداد: هبة عصام

تتمتّعُ العقبةُ ببيئةٍ غنيّةٍ جغرافيّاً، حيث اللقاءُ الآسِرُ بين البحرِ والصحراء، والذي كان له عظيمُ الأثرِ على ما جادت بهِ قرائحُ كتّابِها من الجيلِ السابقِ وصولًا إلى جيلِ الشبابِ الواعدِ، الذي يحملُ اليومَ على عاتقِهِ مسؤوليةَ تقديمِ أبهى صورةٍ لمدينتهِ عبرَ كتاباتِهِ ومنتجاتِهِ الثقافيّة، وتنبعُ هذه المسؤوليّةُ من شعورِ الشّبابِ المُثقّفِ في ثغرِ الأردنّ الباسمِ ببُعدِ العقبةِ عن المشهدِ الثقافيّ بشكلٍ عامّ، والأدبيّ بشكلٍ خاصّ، والذي يدورُ في العاصمةِ وما حولَها.

يتناولُ هذا الملفُّ مقالاتٍ دوّنتها مجموعةٌ من الشّبابِ والشّاباتِ حولَ الواقعِ الثقافيّ لمدينةِ العقبة، وما يحملُهُ من صعوباتٍ وتحدّياتٍ تواجههم، وعن السُّبُلِ المُمكنةِ لتجاوزِها، بالإضافةِ إلى رغباتِهم وطموحاتِهم في تحقيقِ واقعٍ ثقافيٍّ يُلبّي احتياجاتِهم الفكريّة، كما يُصوّرون طبيعةَ العلاقةِ التي تربطُهم بالبحرِ والرمالِ، إذ تخلُقُ هذه العلاقة أسلوبًا أدبيًّا فريدًا لا يخفى على القُرّاء، والذي باستطاعتِهِ، في حالِ وجودِ الدعمِ اللازمِ والاهتمامِ المرجوّ، إغناءُ الأدبِ الأردنيّ والأدبِ العربيّ.

مدينة العقبة..
جنّةُ السياحة وجحيمُ المُثقّفين!

هبة عصام

هُنا العقبة، حيثُ الصيفُ الظامئُ من أثرِ الملح، وشمسُ الظهيرةِ القاسية، تلك التي لا يُخفّفُ عنّا عبءَ قسوتِها المعهودةِ غيرُ البحرِ ونفحاتِ الشتاء، لقد وُلدتُ ونشأتُ في هذه المدينةِ، ولم أعرِف بعدُ تحديدَ موقفي تجاهها، فأحيانًا أجدُني شديدةَ التعلّقِ بها، وأحيانًا يقسو كلانا على الآخر، لذا فإنَّ علاقتي بمدينتي معقّدة بعض الشيء، تُشبه اضطرابَ البحر الذي يهيجُ أحيانًا ويهدأ أحياناً أخرى.

وبغضّ النظرِ عن هذا التضارب الشعوريّ، سأُحدِّثكم عنها، إنَّها العقبة، مدينةٌ جمعت في حضنِها، كما تعرفون، أبناءَ جميعِ محافظاتِ الأردنّ، وعليه فإنَّ الانتماءاتِ الضيّقةَ لم تعرِف إليّ سبيلًا، حتى ولو تعلّقَ الأمرُ بالمكانِ الذي وُلدتُ وبنيتُ جُلَّ ذكرياتي في أفيائِه، إذ إنَّ تعايشي مع ثقافاتٍ مختلفةٍ، سواء من داخلِ الأردنّ أو خارجه؛ نظرًا لكونِ مدينتي وجهةً سياحيّةً من الدرجةِ الأولى، شكّلَ لديّ

نوعًا من الانفتاحِ الذي كان يؤسّسُ أركانه في داخلي دونَ أن أشعرَ به بشكلٍ خاصّ، بل رأيتُهُ مُنعكسًا عليَّ بشكلٍ فاجأني شخصيًّا حين انتقلتُ للدراسةِ في الجامعةِ الأردنيّة في عمّان، فهي تشبه العقبةَ في الجمعِ بين الناسِ بمرجعياتِهم الثقافيّة وأصولهم المختلفة.

وعليهِ فإنّي لم أجد صعوبةً في تقبّلِ الآخرين وأفكارِهم، بل شعرتُ بأنّني المدينةُ ذاتُها، أصبحتُ مكتظّةً، وكوّنتُ علاقاتٍ وصداقاتٍ من بقاع شتّى من الأرض! وقضيتُ أيضًا في سكنٍ للطالباتِ سنواتٍ لم أشعرُ فيها بالاغترابِ، ويعودُ الفضلُ في ذلك إلى مدينتي الأمّ، حيث كان لتلك المدينةِ البحريّةِ طُرُقٌ وأساليبُ مدهشةٌ جعلت الجميعَ يعيشونَ معًا بمحبّةٍ وتقبّلٍ لا نظيرَ لهما، صحيحٌ أنّها تتّسمُ بصغرِ المساحة، إلّا أنّها اتّسعت للجميعِ.

لقد زادَ من هذا الاتساعِ الرّحبِ والانفتاحِ الثقافيّ والفكريّ الذي منحتني إياه مدينتي والعاصمة، تخصّصي في مجالِ اللغةِ العربيّةِ وآدابِها، فقد كان بمثابةِ بوّابةٍ أخرى تُفضي إلى عالَمٍ آخر، عالَمٍ لا بدايةَ له أو نهاية، تعرّفتُ فيه على عقولٍ وأشخاصٍ غيرِ الذين أقابلُ العشراتِ منهم كلّ يوم، من خلالِ قراءةِ الكُتُبِ من رواياتٍ وقصص، وأشعارٍ عربيّةٍ ومترجمة، بالإضافةِ إلى الأنشطةِ والفعاليّاتِ الثقافيّةِ المختلفة، كالأمسياتِ والجلساتِ النقاشيّةِ الفكريّةِ حول موضوعاتٍ مختلفةٍ، وهو ما كنتُ أفتقرُ إليهِ في مدينتي، وهذا أحد الأسباب التي تجعلني إلى اليوم لا أعرف طبيعةَ شعوري تجاهها، فبعدَ التخرّج عُدتُ إلى مدينتي، وبدأتُ أعقدُ مقارناتٍ بينها وبين العاصمة، فوجدتُ الفرقَ كبيرًا، وشعرتُ بالظّلمِ بعضَ الشيء!

مع مرورِ السنواتِ واحدةً بعدَ الأخرى، ازداد حنقي على الواقعِ الثقافيّ الذي أعيشه أنا وغيري من شبابٍ وشاباتِ العقبة، فندرةُ الفعاليّاتِ الثقافيّةِ وانعقادُها في العاصمة، صار يُشعرنا بالإقصاء، تمامًا كمن يجلسُ في آخرِ صفٍّ أثناء عرضٍ مسرحيّ شيّق، لا يرى ولا يسمعُ غيرَ حماسِ الحاضرين وتصفيقهم، ولا يصلُ إليهِ غيرُ الصّدى، نعم نحنُ في أقصى الجنوب، وتحديدًا في العقبة، لا توجدُ مكتبةٌ خاصةٌ تُعنى ببيعِ الكتبِ الأدبيّة والفكريّة، بل نجد بعضها أحيانًا على رفٍّ خجولٍ في محلٍّ لبيعِ القرطاسيّة، فتضيقُ خياراتي وصدري كذلك، وألجأ إلى المكتباتِ الإلكترونيّةِ، التي بالطبع لا يُمكنني من خلالِها معاينة الكتاب وتفقّد غلافه وأوراقه، وغيرها من الفحوصاتِ التي نقوم بها كقرّاء قبل شراءِ الكتابِ المنشود، والتي قد يراها بعضُ الأشخاص غريبةً أو ضربًا من الجنون!

كما أنّنا لا نحظى سوى بمعرضِ كتابٍ واحدٍ كلّ عام، برعايةِ وزارةِ الثقافة، وهي مشكورةٌ على جهودِها، لكنّ ذلك لا يكفينا على الإطلاق، فغيابُ الدعمِ الثقافيّ، والمكتبات، والكثيرُ من الفعاليّات، يجعلُنا كمُثقّفين وكتّاب لا نرى البحرَ سوى ماءٍ مالح، ولا نرى المدينة أكثر من مجرّد مكانٍ قصيّ لا يلبّي تعطّشنا الثقافيّ والمعرفيّ.

إنّ لأقلامِنا التي لا تجدُ اهتمامًا ودعمًا كما نرجو، رائحةً مفعمةً بأنسامِ البحر، إذ إنّ المدينة بكلّ ما فيها تفرضُ نفسها على أساليبنا الكتابيّة، وليس هذا بالأمرِ الذي نتعمّده، فالفنّان ابنُ بيئته، وعليه فإنّ اختلافَ العقبةِ وتميّزَها بوجودِ البحر، يجعلُ من كتّابها أيضًا قادرين على رفدِ الأدبِ الأردنيّ بأسلوبٍ يحملُ طابعًا مختلفًا عن غيرهِ من النتاجاتِ الأدبيّة والفكريّةِ لأبناءِ غيرها من المحافظات.

وأذكر في هذا الصدد الديوان الشعريّ الأول للشاعر عمر المومني، وهو شاعرٌ من مدينةِ العقبة، كان يحملُ عنوان «عيناكِ لؤلؤتانِ في بحرِ الهوى»، وقد كانت قصيدتُه التي يحملُ الديوانُ عنوانَها، أشبهَ بمغامرةٍ بحريّةٍ يخوضُها مغامرٌ عاشقٌ، تتلاطمُ الأمواجُ في طريقِه، ويكادُ البحرُ يُغرقه في طريقِهِ للوصولِ إلى عيني المحبوبة اللتين تشبهانِ اللؤلؤ في النقاءِ واللمعان، وما زال البيتُ عالقًا في ذهني إذ يقول:

عيناكِ لؤلؤتانِ في بحرِ الهوى وأنا المغامرُ قد حملتُ شباكي!

ولم أكن بعيدةً أيضًا عن التأثّرِ بجغرافيّةِ مدينتي، وبما يحصلُ فيها أيضًا، إذ شكّلت لديَّ حادثةُ انفجارِ الصهريج في ميناء العقبة العامَ الماضي، حالةً من الحزنِ الكبير، ممّا دفعني إلى كتابةِ قصيدة «حزن أصفر»، التي نُشِرت في جريدةِ الدستور، إذ أقول فيها:

يا أيلةُ
حزنُكِ قد غطّى بالحسرةِ نظرةَ أعيُننا
مُذْ شيّعتِ طيورَ النورسِ
لم يخنقنا الغازُ ولكن
خنقتنا آهٌ في الصدر
فأجيبي يا أيلةُ قولي
من أين سنأتي بالصبر؟
والألمُ كثيرٌ بل أكثر
من عددِ رمالِ الشّطآن
إلى أن قُلتُ:
خبّئ يا بحرُ مواجعَنا
واحفظْ في عُمقِكَ قصّتَنا
كالأسرارِ
وملحِ الأدمعِ والمرجان
فستُصبحُ راويَها الأوحد
والشاهدَ عبرَ الأزمان!

قد يقولُ قائلٌ إنّ التكنولوجيا الحديثة تتغلّبُ على الزمانِ والمكان، وهي تجعلُ من الكاتبِ عابرًا للحدودِ، ولا يحتاجُ إلى دعمٍ من مؤسّساتِ بلادِه الثقافيّة، إذ يكفي أن يُنشئَ حسابًا على وسائل التواصل الاجتماعيّ، ويكتب ما يشاء ممّا تجودُ به قريحته الأدبيّة، وهذا صحيحٌ ولا يمكنُ إنكارُه، ولكنّ العالَمَ الإلكترونيَّ واسعٌ جدًّا، وفوضويّ بشكلٍ جنونيّ إلى درجةِ العبث، إذ يعطي للجميعِ مساحة للكلام ونشرِ ما يريدون، ويُغطّيهم بهالةٍ من الادّعاءِ بالفهمِ والمعرفةِ، كما يُحدِّدُ موهبةَ الكاتبِ وثقافةَ القارئ الحقيقيّ وفقًا لعددِ المتابعين وأزرارِ الإعجاب.

ناهيك عن أنّ ما يحظى بالاهتمامِ الأكبرِ في تلك المواقع بعيدٌ كلَّ البُعدِ عن الثقافةِ، وهذا واضحٌ لا يختلف عليه اثنان، ويسبّبُ إحباطًا للفئةِ التي تحاولُ نشرَ الوعيِ من خلالِ المحتويات الثقافيّة والأدبيّة المختلفة، وترغبُ في رفعِ صوتِ أقلامِها المتميّزةِ، والعبورِ بما تُنتجُهُ إلى حدودِ العالَمِ، لكنّها تعودُ بالخيبةِ، وقد عايشتُ هذا وأدركتُهُ، ولم أعدْ أحاولُ استعمالَ وسائلِ التواصل الاجتماعيّ للكتابةِ أو النشر كما كنتُ أفعلُ سابقًا، واكتفيتُ بأوراقي والنشرِ في المجلاتِ المحليّةِ كلّما سنحت لي الفرصةُ بذلك.

والمشكلةُ طبعًا ليست في الشّبكةِ العنكبوتيّة بحدّ ذاتها، أو بوسائلِ التواصل، بل بنا نحن روّادَها، ومن هنا نعودُ إلى أهميّةِ دعمِ الثقافةِ على أرضِ الواقع، وإثراء شبابِ اليوم وإرضاءِ طموحاتِهم، من خلالِ زيادة الفعاليّات والأنشطة في مدينتِهم، وجمعهم حول مائدةِ الأدبِ والعلمِ والفكر، وتنسيقِ فعاليّاتٍ تسمحُ لهم بالالتقاءِ بكبارِ الكتّابِ والمثقّفين، فمن هنا يبدأ تشكيل الوعيِ لهذا الجيلِ وللجيلِ الذي يليه، فهم نفسهم من سيُغيّرون معاييرَ العالمِ الإلكترونيّ، إذ سيصبحون عندها قادرين على تغييرِ ملامح تلك الفضاءاتِ الإلكترونيّةِ، وإثراء وسائلِها التواصليّة بمحتوى ثقافيٍّ غنيّ يجمعُ بين الحداثةِ والأصالة، محتوى عابرٍ للقارّاتِ يسمو بالمُتصفّحِ، ويرقى بالحضارةِ الإنسانيّة.

ماري فدين | حديقة في العقبة ، الأردن (1989) | ارتسي

قراءةٌ في الواقع الثقافيّ لمدينة العقبة والتطلّعات المستقبليّة

د. محمود محمد الكركي

كغيرها من المدنِ الساحليّةِ، وبتراثِها البسيطِ الجذّابِ الذي يجمعُ ما بين البحرِ والبَرّ، تبدو مدينةُ العقبةِ، الثغرُ الباسمُ في جنوبِ الأردنّ، بمثابةِ قنديلٍ ثقافيٍّ يُضيءُ بهويّةِ هذه المدينةِ الخاصّة بتفرّدها جغرافيًّا وحضاريًّا، فالعقبة تتجمّلُ بوجهٍ، بملامحَ متميّزةٍ تهبُها إطلالةً خاصّةً لا تشبهُ غيرها، على الرغمِ من تأثّرِ مدن الساحلِ وتشابهها عادةً؛ بسببِ ما تشهدُهُ من حركاتِ تبادلٍ تجاريّ وتواصلٍ حضاريّ، وعواملَ طبيعيّة، فالبحرُ بمدّه وجزره واحد، والموجُ بهدوئه وهيجانِهِ واحدٌ، والنخلُ بعلوّهِ وعطائِهِ واحدٌ.

وقبل أن يؤثّرَ البحرُ في ثقافةِ هذه المدينة، ويروي عطشَ الصحراء، كان البحرُ يدخلُ كلّ بيتٍ، ويتركُ آثارَ الملحِ على ألسنتِهم والقلوب؛ لينشئَ معهم ترابطًا قويًّا لا تمحوهُ سنواتٌ من الاغتراب، إذ يتشاركُ مع أبنائِهِ عملَهم وتجارتَهم، وفرحَهم وحزنَهم، فهو المصدرُ الأساسيّ لرزقهم، والذي انعكَسَ بعطائِهِ على جودِهم وكرمِهم وبساطتِهم، ولونِ بشرتِهم السّمراء، وأغنياتِهم ذات اللحن العقباوي المتناغم مع هديرِ الموجِ وتراقص أنسام البحر، حيث ظهرَ البحر في مفرداتِهم وتراثِهم، وطعامِهم وأهازيجِهم ورقصاتِهم؛ ليُشكّلَ الأساسَ الذي قامت عليه ثقافةُ هذه المدينة.

وعلى الرغم من كونها أبعدُ المُدُنِ عن العاصمةِ عمّان، وهو ما قد يُشكّل بعض التحدّيات وشعور أهلِ المدينةِ بالافتقارِ لروحِ الحضارةِ الأردنيّة، إلّا أنّ هذه المدينةِ شهدت اهتمامًا خاصًا، وحركة تطوّر هي الأسرع؛ لتغني سكّانها بمشاريعَ تجعلها الوجهة الأولى في المملكة لقاصدي السياحة والتجارة والاستثمار، فموقعُها التجاريُّ والسياحيُّ، وتنوّعُها الديموغرافيّ المتغيّرُ المتسارعُ بتنوّع ساكنيها وثقافتهم، أعطاها اسمًا لامعًا، وظهورًا بارزًا على مستوى الأردن والعالم أجمع.

وبالإضافةِ لمكانتها التجاريّة والسياحيّة، نجدُها مدينةً غنيّةً بالثقافةِ، فما ظهرَ في كتاباتِ وفكرِ أبنائها وفنّانيها ومبدعيها من جيلِ الشبابِ الواعدِ، حافظَ على ملامحها وخصائصها التي تنتمي لشواطئ هذه المدينةِ وأصالتها، فاغتنت بمؤلفاتٍ أدبيّةٍ ونصوصٍ إبداعيّة تعكسُ طبيعة المكان الرومانسيّة، وتأثيره في تحريكِ المشاعر التوّاقةِ للبحرِ الكامنِ بالأسرار.

وبالحديث عن الأدبِ والحركةِ الثقافيّةِ في هذه المدينة، وبخلافِ التّطوّرِ السياحيّ والتجاريّ، نجدُ أنّها، مع الأسف، تعيشُ واقعًا لا يختلفُ كثيرًا عن غيرِها من شقيقاتها من المدنِ الأردنيّة، حيثُ تفتقرُ مدينةُ العقبةِ لوجودِ مؤسّساتٍ ثقافيّةٍ جماعيّةٍ، ومراكزَ مُتخصّصةٍ لرعايةِ المثقّفين ودعمِهم، على الرغم من وجودِ كفاءاتٍ ومواهبَ ثقافيّةٍ فرديّةٍ في مختلف المجالات.

وبصفتي أستاذًا مساعدًا في جامعة العقبة للتكنولوجيا، لمستُ وجودَ روحٍ ثقافيّة وأقلام واعدة بين جيلِ الشّباب، وإقبالًا يفتقرُ للتوجيه والتنظيم نحوَ ثورةٍ ثقافيّةٍ حقيقيّة تضعُ المدينةَ في صدارةِ الواقعِ الثقافيّ المحليّ، بل والدوليّ، لكنَّ المثقّفَ هنا، في العقبة، يجدُ نفسه أبعد ما يكون عن الحياة الثقافيّة الدائرة في العاصمة، حيث الفعاليّاتُ والأمسياتُ والأنشطةُ الثقافيّةُ المختلفة، فيلجأ بنفسه إلى خيارات. تجعله مضطرًا إلى دعمِ قلمِهِ ذاتيًا، أو إلى البحثِ عن التمويلِ من مؤسّساتٍ وطنيّةٍ وشركاتٍ راعيةٍ، يكون الحصولُ على الدّعمِ من قِبَلِها ممكناً لمختلفِ الأنشطةِ والفعاليّات، ولكنّه دعمٌ صعبُ المنالِ حين يتعلّقُ الأمرُ بالأنشطةِ الثقافيّة، فإذا أُوصِدَت أبوابُها أمامه، طفقَ ذاهبًا يطرقُ أبوابَ الفضاء الإلكترونيّ، فيجدُ الأخيرَ مرحّبًا بحفاوة، فينغمسُ في عالَمٍ صعبٍ أن نفرّق فيه بين ما يستحقّ النشر وما لا يستحقّ زرّ الإعجاب، فيظلّ أسيرًا تحت رحمةِ عددِ المتابعين وعدد «اللايكات»، فهي التي غالبًا ما تحدّد مدى جودةِ قلمِهِ لدى الآخرين في هذا العالمِ الافتراضيّ.

في الواقع إنّ العقبة، على الرغم من تعدّدِ مؤسساتها الرسميّةِ والخاصّةِ، تفتقرُ لوجودِ بُنيةٍ تحتيّةٍ يمكنُ تشييدُها من خلالِ تحريكِ حسّ المسؤوليّة المجتمعيّة لجميعِ المؤسّساتِ المعنيّةِ، فافتقارُ هذه المدينةِ السياحيّةِ لوجودِ المسارحِ العامة، والسينما ودورِ العرض، ودورِ الطباعةِ والنشر، ليس إلّا إشارةً سلبيّةً لغيابِ الحسّ الحضاريّ والمدنيّ، الذي قد يطمسُ بدورِهِ على المدى البعيدِ بعضَ ملامحِ الهُويّة المميّزةِ لهذا المدينةِ، خصوصًا ونحنُ نعيشُ اليومَ في خضمّ ثورةٍ تكنولوجيّةٍ وعلميّةٍ ذهبت بالعالمِ إلى صوبِ مرحلةٍ ينقصُ فيها النضجُ الفكريُّ والثقافيُّ.

ويظلّ المثقّفُ فيها يجابهُ حربًا مع القنواتِ الفضائيّة، ومتابعًا حذرًا على قلقٍ لمواقع التواصلِ الاجتماعيّ، هذه المواقع التي أصبحت تُشكّلُ الفكرَ وتوجّهُ الرأيَ العامّ، إذ تدورُ رحاها، وتصولُ الأفكارُ فيها وتجولُ دون رقيب، وتفتقرُ إلى الارتكازِ على معلوماتٍ صحيحةٍ أو موثوقةِ المصدر.

ومن هنا، يجدرُ الذكر بأهمّيّة انتباهِ الجهاتِ الرسميّةِ الراعيةِ للشبابِ ولثقافتهم في هذه المحافظة، والمتمثّلة بوزارتَي الثقافةِ والشباب؛ للحفاظِ على ثقافتهم وفكرهم وتنشئتهم، وتنميتهم في مختلفِ المجالاتِ الثقافيّةِ والفكريّة، فتطوّرُ وسائلِ الاتصالِ في وقتنا الحاضرِ، يتطلّبُ البحثَ عن وسائلَ أكثر فاعليّة وأكثرَ تشاركيّة، تتّسمُ بالحواراتِ المفتوحة والتواصل المباشرِ مع قاماتٍ فكريّة وثقافيّة، والابتعادِ عن الوسائل التقليديّة، تلك التي عفا عنها الزّمانُ، والتي تبدو أقرب إلى إملاءٍ للأفكارِ الجاهزةِ، وتلقينٍ دونَ تفكّر وتمحيص، كما على

تلك المؤسساتِ أن تقوم بدورِها بإيجاد سياسةٍ تربطُ ثقافةَ الشبابِ وطموحاتِهم العاليةِ بعمليّةٍ تنويريّةٍ تحتضنُ أفكارهم، وتعملُ على توجيههم نحو ثقافةٍ وطنيّةٍ تمثّل عاملاً في رفعةِ مدينتِهم بشكلٍ خاصّ، والوطن بشكلٍ عامّ.

ولكونِها المدينةَ السياحيّةَ الأولى في المملكةِ، لا بُدّ من أن نتّجهَ في بوصلتِنا صوبَ مدينةٍ ثقافيّةٍ سياحيّةٍ، تعملُ فيها ثقافةُ المدينةِ وثقافةُ أبنائِها نحوَ تنشيطِ الحركةِ السياحيّةِ، وعلى العكسِ أيضًا تنشّط فيها السياحةُ الحركةَ الثقافيّةَ وتروّجُ لها ولثقافةِ الأردنّ بشكلٍ عامّ على الصعيدين الإقليميّ والدوليّ، وذلك من خلالِ مهرجاناتٍ فنّيّةٍ و فلكلوريّةٍ، واستضافةِ لفعاليّاتٍ ثقافيّةٍ وعلميّةٍ، ومؤتمراتٍ دوليّةٍ، ممّا يُعزّزُ موقعَ هذه المدينةِ على خارطةِ السياحةِ العالميّةِ وخارطةِ المدن الثقافيّة.

ويمكن القول إنَّ مثقّفي هذه المحافظةِ وأبناءَها يجدونَ أنفسَهم أمامَ مهمّةٍ تقومُ على تقديمِ دراسةٍ مسحيّةٍ وتقييميّةٍ، تشمل مختلف الجوانب الثقافيّة والفكريّة؛ لتحديدِ الأولوياتِ التي سيتمّ من خلالِها دعمُ وتطويرُ الحركاتِ الثقافيّةِ في المدينة، وإيجادُ الشراكاتِ والبرامجِ التي يتمُّ من خلالها إبرازُ الجوانبِ الثقافيّةِ لهذه المدينة، وتعزيزُ العلاقةِ في عرضِ وترويجِ الثقافة إلى جانبِ السياحة.

كما أقترحُ فكرة إنشاءِ صندوقٍ لدعم المواهبِ والأنشطةِ الثقافيّة والإصدارات الدوريّة، من خلالِ فتحِ قنواتِ الاتصالِ بمؤسساتٍ وشركاتِ المدينة، وبإشرافٍ من مديريةِ الثقافة، الأمرُ الذي سيساهمُ في إبرازِ هذه المواهب، ويُعزّزُ من الأنشطةِ التي ستكون بمثابةِ عاملِ الجذبِ لأبناءِ المدينةِ وزوّراها، وزيادة اهتمامِهم بثقافةِ مدينتِهم وما قامت عليه.

وعلى الرغم من صغر مساحتها، يجبُ أن تستثمرَ العقبةُ عاملَ احتضانها لأربع جامعات، وأن تعمل على تفعيل دور هذه الجامعات في تعزيز الجوانب الفكريّة والثقافيّة، ورفع كفاءة طلبتها وتوعيتهم، وتشجيعهم على تثقيف أنفسهم، حيث غدت الجامعاتُ اليومَ بمثابة مؤسّساتٍ فكريّةٍ يتجاوز دورها منح الشهادات والدرجات العلميّة.

وفي الختام، ستبقى الثقافة هي العلامة البارزة التي تصبغ طبائع الشعوب والمدن، وتبقى العامل الرئيس الذي نفرّق من خلاله بين المجتمعات، ونحكم به على تقدّمها أو تأخّرها، لذا وجب علينا أن نوليها جلّ اهتمامنا، وأن ندعم المواهب الثقافيّة والأدبيّة حتى تبقى عاملاً تنويريّاً يشعّ في فكر أبنائنا ويُساعدهم على فهم ما يدور حولهم في هذا العالم.

العقبة

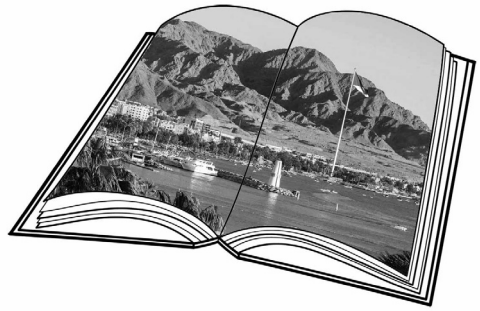

كتّابُ العقبةِ بينَ البحرِ والمسافاتِ والمدوّناتِ الإلكترونيّةِ

ريناد القرارعة

مكتبةٌ صغيرةٌ في بيتٍ عقباويّ

في بلاد السَّمَرِ والأنسِ كبرنا، وعلى أنغامِ السمسميّةِ حلّقنا وحلّقت أرواحُنا بينَ جبالِ الخليجِ الأبيّة، نحنُ من شبابِ ثغرِ الأردنّ الباسمِ، من منبتِ العراقةِ والحريّةِ، من نافذةِ الأردنّ على العالَمِ، من أقصى الجنوبِ الذي كان وما زالَ يحتضنُ شموسَ النهضةِ والثقافةِ والتاريخ.

لقد ترعرتُ بصفتي شابّةً عقباويّةَ المنشأ على حبّ البحر، في حضنِ أمٍّ تقدّسُ الكتابَ والكتابة، دَرَستْ ودرَّستِ العربيّةَ لسنواتٍ عديدة، فعرفتُها كأوّل منهلٍ أدبيّ، فكانت أوّل معلّمةٍ تسقيني اللغةَ وتروي روحي بالحكاياتِ الأدبيّةِ، وأبياتِ الشِّعرِ العذبة، فأمّي كاتبةٌ مجهولةٌ في عالمِ الثقافةِ والنشر، لكنّها معروفةٌ لدى قلمي، تشرّبَ أسلوبي ملامَحها وصوتَها الرّخيم، وملأت ذاكرتي وأغنت قاموسي الأدبيّ.

كما كانت جدّتي – رحمها الله – تشتري لي الكتبَ من الباعةِ المتجوّلين، وتحكي لي القصصَ كأفضلِ روائيّةٍ عرفتُها في حياتي، من هنا بدأت علاقتي بالكتابِ والكتابةِ، ووجدتُهما في أيامٍ كثيرةٍ طوقَ نجاةٍ، ووسادًا دافئًا، ومخزنًا للأفكارِ والذكرياتِ، ولسانَ التجاربِ، وترجمانَ الأحداث.

مصطفى صادق الرافعي، عبد الرحمن الكواكبي، مالك بن نبي، مصطفى لطفي المنفلوطي، علي عزت بيجوفيتش، وغيرهم الكثير ممن وجدتُ نفسي مرّاتٍ كثيرةً بين سطورِ كتاباتِهم، فأتوقّف أمامَ عباراتِهم وملءُ قلبي دهشةٌ ببديعِ ما كتبوه ممّا أثّر في ذوقي الأدبيّ، وأضفى على جلساتي سحرًا فريدًا لا يُنسى، على الرغم من اختلافي معهم في بعضِ وجهاتِ النظرِ والقضايا، إلّا أنّني أدينُ لهم بالكثيرِ ممّا استمتعت به.

عناقُ الصحراء والبحر

غنيّةٌ عروسُ البحرِ بمكوناتٍ ثقافيّةٍ وأدبيّةٍ، تمامًا كبحرِها الغنيّ بالمرجانِ والخيراتِ، فموقعُها الجغرافيُّ جعلَها زاخرةً بتراثِ الساحلِ وتعابيرِ البحرِ، وقصصِ الشواطئِ والأصدافِ والمرجان، إنّ للعقبة نوعًا خاصًّا من التفرّدِ، فوقوعُها على أطرافِ الصحراءِ منحها فصاحةَ اللسانِ البدويّ، وكرمَ الباديةِ، وبسالةَ الفُرسان، ووجودُها الحدوديّ على حدودِ قارّاتِ العالمِ أدّى لتناغمٍ تراثيٍّ جميلٍ، كما أنّ طبيعتَها الجاذبةَ والمعطاءةَ التي تحتضنُ كلَّ من أتاها، ميّزها بالتّنوّعِ الكبيرِ في سكانّها، حتى إنَّكَ تكادُ تجزمُ أنّ لكلّ مواطنٍ في محافظاتِ الأردنّ قريبًا أو صديقًا أو حبيبًا في العقبة.

البحرُ.. إنَّه هبةُ اللهِ الفضلى التي تُميّزُ العقبة عن باقي المحافظات، والتي منحت التراثَ العقباويَّ تميّزًا في القصص والقصائد والأساطير، وجعلتها مكانًا يتغنّى به الشعراءُ الذين وطئوا رملَها، نذكرُ منهم الشاعر السعوديّ عبد الرحمن العشماويّ في قصيدتِهِ البديعة بعنوان «على خليج العقبة»، حيث قال:

أعرفُ المرجانَ أقفو نَسَبَه   حينَ أدنو من خليجِ العقبــه
مثلما أعرفُ أقصانا، ترى   عين قلبي من بعيد قببــه

وللشاعرِ العراقيّ سعدي يوسف قصيدةٌ جميلةٌ بعنوان «العقبة»، يقول في مطلعها:

هي أَيْلَةُ التاريخ
وهي الآنَ إيلاتُ التي جاءت بها الكَبَواتُ واللّهجاتُ
وهي، بنُطقِنا، وغماغمِ استقتالِنا:
العَقَبَةْ
تشِفُّ كذرّةِ البلّورِ أحيانَ اضطرابِ النبضِ
أرضَ مَقاتِلٍ لصحابةٍ ومُجاهدينَ
وواحةً مسكينةً للسِّدْرِ
درباً نحوَ مؤتةَ والشّآم.

العقبةُ ثقافيًا.. إلى أين؟

أطلقت وزارةُ الثقافةِ مشروعَ المدن الثقافيّة الأردنيّة في عام 2007م، ومنه اختيرت العقبةُ مدينةً للثقافةِ الأردنيّةِ لعام 2016م، وبالرغم من تعدّدِ النوادي والمراكز الثقافيّة، والمتاحف والمكتبات، إلّا أنّنا بحاجةٍ لخطّةٍ فاعلةٍ تستهدفُ النَّشءَ الجديدَ من الشبابِ والشاباتِ المبدعين في مجالاتِ الأدبِ والفنّ بشكلٍ عامٍّ، والكتابةِ بشكلٍ خاصٍّ، ومن هنا أقترحُ عدةَ خطواتٍ، مثل البدء بالاهتمام الجادّ بالمواهبِ الإبداعيّة من طلاب المدارس والجامعات، وإتاحة الفرصة لهم باللقاءِ بكُتّابٍ ونقّادٍ ومعلّمين من جميعِ محافظاتِ الأردنّ، ومن الوطنِ العربيّ، من خلالِ ندواتٍ خاصةٍ مَعنيّةٍ بالكتابةِ بكافة مجالاتِها، من شعرٍ ونثر، وقصص، ومقالاتٍ، ومسرحياتٍ، وغيرها، وقبل هذا أودّ أن أشيرَ بصفتي التربويّةِ والتعليميّة لضرورةِ احتضانِ المواهبِ الشابّة في ريعانِها من قِبَلِ الوالدين وتشجيعها.

لا بُدّ أيضًا من الاهتمام بإتقانِ الكتابة، وضمانِ جودتِها، والمحافظة على استمرارِ خلقِ أسلوبٍ جديد، والبعد عن التقليد، من هنا نخلص للنقطة التالية، فقد امتلأت أسواقنا بالكتب الركيكة المقلّدة أسلوبًا وفكرةً ممّن نحسبُهم أبناءَ حقلِ الكتابة الزاهر، وإذ بهم ليسوا سوى سنابلَ لم تنضج بعدُ، أو أنّها يَبِسَتْ في نارِ التكرارِ والحشوِ قبل أن تنضجَ، ممّا جعلَ سوقَ الكتب سوقًا تجاريّةً بحتةً، لا تبحثُ سوى عن المالِ، لذا فمن الضروريّ تنقيحُ الكُتُبِ لغويًا ونَحْويًا، وفكرةً وأسلوبًا قبل وضعِها بأيدي قرّاءٍ قد تصيبُهم خيبةُ أملٍ من أكثر أماكنهم ثقةً، وهو الكتاب، فنحن قد نبني عداوةً شرسةً أو صداقةً حميميّةً مع كاتب لم نلتقِ به قطّ!

ولعلّ من أكثر اللحظاتِ التي تخلبُ لُبّنا كقارئين وكتّاب نعيشُ في أقصى الجنوب بعيدًا، لحظة زيارتنا للعاصمة، فحين نجوبُ الشوارعَ والمكتباتِ نظلّ نسأل كيف لعمّان أن تكون بهذا الزخم المعرفيّ والثقافيّ؟! وكيف لكلّ مكتبة ومتحفٍ وحديقة ومركز أن يكون عالمًا يفتح أبوابه لك ويستقبلك بكلّ حفاوة؟ وأنّك مع كلّ حوار مع بائعٍ للكتبِ تشعرُ بأنّكَ كنتَ تحدِّثُ كتابًا أو موسوعة لا إنسانًا! فأنا كقارئةٍ وكاتبةٍ من أقصى جنوبِ المملكة أغبطُ العمّانيّين لهذا التنوّع الجميل، وفي كلّ مرة أزور مكتباتِ عمان ومتاحفَها وساحاتِها، أشعرُ بثورةٍ صغيرةٍ تشتعلُ شرارتُها في شراييني حماسًا وحبًّا للحداثة والأصالة التي تتميّز بها.

المدوّناتُ الإلكترونيّة.. سيفٌ ذو حدّين

غزت وسائل التكنولوجيا الحديثة عالمنا بلا استئذان، وسيطرت على مناحٍ كثيرةٍ وقطاعاتٍ عديدةٍ، ومن ضمنها الكتابة، وعلى الرغم من إيجابياتها المتمثّلةِ في سرعةِ انتشارِ الأعمالِ الأدبيّة، وسرعةِ وصولِها لعدد كبير من روّاد هذه المواقع، وتهيئة جو وبيئة لممارسة هذا الفنّ بتكلفة وجهد أقلّ، إلّا أنّنا يجبُ علينا ألّا نتجاهلَ الجانبَ السلبيَّ القويَّ الذي لا يمكنُ إغفالُه وغضُّ الطّرفِ عنه، ألا وهو التأثير سلبًا على قوةِ تركيزِ إنسانِ العصرِ الحديث، وسرعة تشتّته وغضبه من أقلّ المشوِّشات المحيطة به، إذ يُعاني الإنسانُ اليومَ من فقدان القدرة على قراءةِ نصّ طويل، ويكتفي بقراءة أسطرِهِ الأولى، ممّا يتمثّلُ بفقدانِ الصّبرِ سريعًا، والرغبةِ الدائمةِ في الحصولِ السريع على المعلومةِ.

ومن الجدير بالذكر هنا، أنّنا في حاجةٍ دائمةٍ، كلّما استعنّا بالتكنولوجيا، أن نُحصّن كتاباتِنا من السرقةِ الأدبيّةِ والانتحالِ، وتداخلِ المعلومات ولغطِها، وهذا يزيدُ الضغط عليك كقارئ أو كاتب، إذ تحتاجُ للبحثِ مطوّلاً عن مصدرٍ لمعلوماتِك واسم الكاتب لنصّ ما، فتشعر بأنّك في حرب دائمةٍ مع أشخاصٍ لا تعرفُهم.

إنَّ العلاقة بين القارئ والكتاب، وبين الكاتب والورقة والقلم، علاقةٌ حميميّةٌ بدرجةٍ كبيرةٍ، حيث تجمعُنا مع الأوراق والكتب علاقةٌ لا يمكنُ لمدوّنةٍ في فضاءِ تكنولوجيا المعلومات، أو في منتدىً إلكترونيّ، أن يعوّضَها، وإن كنّا نستعين بها فقط للتواصل فكريًا مع أشخاص تبعدنا عنهم المسافات؛ بهدفِ إيصالِ نتاج أفكارنا كما نفعل في هذا المقال، فلرائحةِ الأوراقِ، وملمسِ الغلافِ، وجودةِ الطباعة، مكانٌ خاصٌّ في قلبِ كلّ أديب.

واليومَ، في خِضمّ بحر التكنولوجيا، نسيَ الكاتبُ خطّه، واستولت أوامرُ البرامجِ المعدّة للكتابة على خربشات القلمِ فوق الأسطرِ الخارجةِ من جوفِ الكاتب. للحرفِ الحيّ حين يخرج على الورقة سحرٌ خاصٌّ لا يمكن تجاهله، لذا من المهمّ لنا ككتّابٍ نسكنُ بعيدًا، أن تكون لنا مجلّةٌ خاصّةٌ تدعمها المؤسسات الثقافيّة في الأردن، أو موقع إلكترونيّ يشرفُ عليه أمناءُ الوعي والأدب، يبرزنا للعالمِ وينتشلنا من عمقِ الموج الذي يسحبنا نحو الأعماقِ، ويجعلُ من المنصّاتِ الإلكترونيّة القشّة التي نتعلّقُ بها كغرقى لا برَّ لهم.

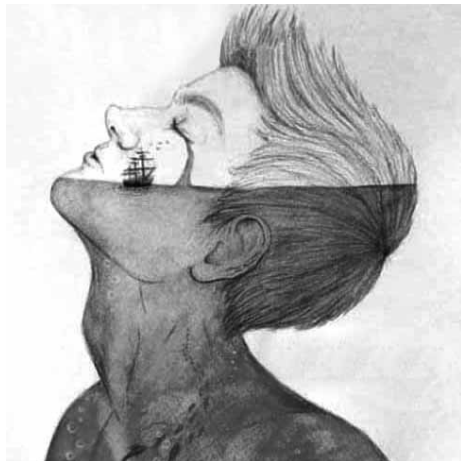

كتّابُ العقبةِ بينَ الأمنياتِ والواقع

عبد الله الزغول

تلتهمُ الكلماتُ أرواحَ الكتّابِ، وتسكُبُ عَبَقَها بين ثنايا صفحاتِ الورقِ، فتفوحُ بعطرِ شذىً آسرٍ من المشاعرِ والأفكارِ، التي تصبحُ ذاتَ شكلٍ وصوتٍ ورائحةٍ. لطالما كانتِ الكتابةُ وسيلةً فريدةً للتعبيرِ عن الذاتِ، ومحادثةِ الآخر في أنحاءِ الدنيا حولَ قصصنا وأفكارِنا، وخبايا أنفسنا، وهي الطريقةُ الأمثل لمشاركةِ تجاربِنا الإنسانيّةِ مع العالم أجمع، إنّها فعلٌ يتجاوزُ الخطوطَ الفاصلةَ على حدودِ الورق، ولهذا فإنّ الأعمالَ الكتابيّةَ بشكلٍ عام، والأدبيّة بشكلٍ خاص، تمتلكُ أهميّةً كبيرةً ومكانةً خاصّة لدينا، بالإضافةِ إلى قيامِها بدورٍ لا يُستهان بهِ في تشكيلِ الوعي، ونقلِ وجهاتِ نظرِ المجتمعِ أو العالم، وتوسيعِ آفاقِ المعرفةِ، ورفدِ الثقافة البشريّة وإغنائِها.

وبالرغمِ من قداسةِ هذا الفعلِ الإنسانيّ الباهر، الذي يبدو بالحديث عنه أمرًا في غايةِ الأهميّةِ والروعة، إلّا أنّ القيامَ بهِ ليس من السهولةِ بمكان، وأعني بذلك المصاعبَ والتحدّياتِ التي تعترضُ طريقَ الكُتّاب، والتي يطولُ الحديث عنها، ولكنّني سأكتفي بذكرِ جزءٍ من التحدياتِ التي يواجهها الكُتّاب، وأخصّ بالذكر الكتّاب في مدينةِ العقبة، هذه المدينة الساحليّة الآسرة، التي تُعتبرُ مدينةً هامّةً على مستوى التجارةِ والسياحة، ولكنّ بُعدها عن المركز، أيّ العاصمة، كان له عظيمُ الأثرِ على الحركةِ الثقافيّةِ والأدبيّةِ في ثغرِ الأردنّ الباسمِ.

مـن المعـروفِ أنّ المكان الـذي يعيـشُ فيـه الكاتـبُ مهـمٌّ جـدًّا لصقلِ موهبتِهِ، حيث لا بدّ من تزويدِهِ بالدعمِ اللازم، وإحاطتِهِ بجـوٍّ ثقـافيٍّ يلبّـي حاجتـه ويُثـري أفـكارَه باسـتمرار، وكلّمـا كان المكانُ بعيدًا عـن مركزِ الدولـةِ أو المدينـةِ، قلّت المواردُ والفـرصُ المُتاحـة، فمدينـةُ العقبـة تعانـي مـن نـدرةِ الفعاليّـاتِ الثقافيّـة ومعـارضِ الكتـب، وعـدم وجـودِ نشـاطاتٍ ولقـاءاتٍ ثقافيّـة تُلبّـي حاجتنـا كمثقفـين وكتّاب، أو كمهتمّـين ولـو بقـدرٍ بسـيطٍ بالقـراءةِ والأدب، أو بالأعمـالِ الفكريّـة والفنـون.

وبالرغـمِ مـن هـذا التحـدّي الكبيـر، نجـدُ أنّ هنـاك نمـاذج رائعـة مـن كتّـابِ مدينـةِ العقبـة اسـتطاعوا أن يتجاوزوهـا، ولهـم في ذلـك تجـاربُ تسـتحقّ الوقـوف عندهـا، ولكـن ذلـك لا يعنـي أن نُسـلِّمَهم لطريـقٍ ملؤهـا الأشـواك، بـل علـى الجهـاتِ المعنيّـةِ أن ترافـق خطواتِهـم، وأن تُعبّـد لهـم الطريـق ليصلـوا بـرّ الأمـان؛ ليتمكّنـوا مـن الارتقـاءِ بأعمالِهـم الكتابيّـة والفنيّـة، وتقـديم الدعـم الـلازم لهـم، وخلـقِ جـوّ ثقـافيٍّ يقـاربُ ذلـك الـذي نـراهُ في العاصمـةِ ومـا حولَهـا، مـن مسـارحَ وأمسـياتٍ ومعـارضِ كتـبٍ وغيرِهـا.

إنَّ الشّـغفَ والتصميـمَ، ومحاولـةَ التطـوّرِ المسـتمرّ يمكـن أن تُسـاعد كتّـابَ مدينـةِ العقبـةِ علـى تجـاوزِ بعـضِ الصِّعـاب، ولكنّهـا لا تكفـي مـن دونِ اهتمـامٍ مـن الهيئـاتِ والمؤسّسـاتِ الثقافيّـة والتربويّـة والإعلاميّـة أيضًـا، وفي هـذا السـياق تحدّثـتُ مـع أحـدِ هـؤلاء الكتّـاب، وهـو الكاتـبُ خالـد زيـارة.

الكاتـب خالـد زيـارة وُلِـدَ عـامَ 1982م في محافظـةِ العقبـة، وهـو رئيـسُ جمعيـةِ الـدربِ للثقافـةِ والفنـونِ المختصّـةِ باكتشـافِ المواهـبِ وتمكينِهـا وصقلِهـا؛ لتقديمهـا للمجتمـعِ الأردنـيّ والعالـمِ العربـيّ، وللكاتـبِ خالـد روايتـان همـا: أدمنتُهـا، وروايـةُ ظـل، وقـد تمّـت ترجمتُهمـا إلـى اللغتـين الإنجليزيّـة والفرنسـيّة، وقـد تأثّـرَ خالـد، حسـبَ قولِـهِ، بالكثيـرِ مـن الكتّـابِ الذيـن قـرأَ لهـم، وخصوصًـا الكاتـب مصطفـى لطفـي المنفلوطـي، والكاتبـة أحـلام مسـتغانمي، ودوستويفسـكي، وميـلان كونديـرا.

سـألتُ خالـد عـن التحدّيـاتِ التـي واجهَتْـهُ ككاتـبٍ في مدينـةِ العقبـة، فأجـابَ بـأنّ التحدّيـاتِ التـي تصاحـبُ الكاتـبَ كثيـرةٌ، والصعوبـاتُ تـكادُ لا تنتهـي، فكلّمـا كان الحلـمُ أكبـرَ كان حجـمُ المصاعـبِ أكبـر، وذكـرَ خالـد زيـارة أنَّ أكبـرَ تّحـدٍّ واجهَـهُ هـو إرضـاء شـغفه بالقـراءةِ من خـلالِ حصولِه علـى الكُتُب، فالكتـبُ علـى حسـبِ تعبيـرِهِ غاليـةُ الثمـن، ونـادرةٌ في مدينـةِ العقبـة، وهـو مـا يجعلـه يحصـلُ عليهـا مـن المكتبـاتِ الإلكترونيّـةِ، أو مـن المكتبـاتِ في حـالِ ذهابـه إلـى العاصمـةِ عمّـان.

وأضـاف أنَّ بُعـدَ العقبـة عـن المركـز الرئيسـيّ وقلـبِ الوطـنِ العاصمـة، يُعَـدّ ضريبـةً أخـرى، حيث هنـاك تتمُّ إجـراءاتُ توثيقِ ونشـرِ الأعمـالِ الكتابيّـة، والحصـول علـى الموافقـة قبـلَ ذلـك، إذ نفتقـرُ هنـا في العقبـةِ لوجـودِ مكتبـةٍ وطنيّـةٍ، أو حتـى دار نشـر.

كمـا أشـارَ زيـارة إلـى نقطـةٍ هامّـةٍ، وهـي مـن أكثـرِ الأمـورِ التـي يشـكو منهـا شـبابُ وشـابّاتُ العقبـة المبدعـون والمثقّفـون، وهـي قلّـة الأنشـطة الثقافيّـة مـن أُمسـياتٍ ومعـارض وغيرِهـا، مـع أنّهـا تُقـامُ وبشـكلٍ دوريّ في العاصمـة، ولا أفهـم السـبب الـذي يمنـعُ مـن إقامـةِ أنشـطةٍ تشـابهُها حسـبَ قولِـه، إذ إنّ المشـاركةَ ي الفعاليّـاتِ والمهرجانـاتِ الثقافيّـة، تُعطـي الكاتـبَ الحافـزَ والثقـةَ للتقـدّمِ وإنتـاجِ المزيـد، كمـا تتيـحُ لـه اللقـاءَ مـع الكتّـابِ الآخريـن مـن مختلـفِ المحافظـاتِ أو البلـدان، لا سـيّما أنّ الأمسـياتِ في العقبـة تـكادُ تكـون معدومـة، كمـا أنّهـا تخلـو مـن التنـوّع.

وبالإضافـةِ إلـى تأثيـرِ البُعـدِ المكانـيّ علـى الواقـعِ الثقـافيِّ والإبداعـيّ في مدينـةِ العقبـة، تحدّثَ خالـد زيـارة عن الصُّعوباتِ الماديّـة التـي تواجـه الكتّـاب، ففـي سـؤالي لـه عـن التكاليـف الماديّـة التـي يدفعُهـا الكاتـب عنـدَ نشـرِ أحـدِ أعمالِـه، أجابنـي بـأنّ محاولـةَ الحصـولِ علـى مـردودٍ مـاديّ جيّـدٍ مـن خـلالِ الأعمـالِ الكتابيّـة، وخصوصًـا عملـك الأول، يبـدو أمـرًا شـبهَ مسـتحيل، حيـث لا يتـمّ عـادةً دعـمُ كاتـبٍ منـذُ لحظـةِ دخولِـه عالـمَ النشـرِ والتوزيـع، بمعنـى أنّ أغلـبَ دورِ النشـر تديـرُ النـارَ علـى قرصِهـا، ولا تـرى إلّا مصلحتَهـا، فغالبًـا لا تهتـمّ بالمضمـونِ

أكثرَ من المردودِ الماديّ، فيكون الكاتبُ أمامَ منحدرٍ جبليّ صعب، كارتفاعِ تكاليفِ سعرِ طباعةِ الكتابِ، وهو أمرٌ قد لا يتحمّلُهُ الكثيرُ منّا، وهو مبلغٌ يعتمدُ على عددِ النسخِ المشروطِ طباعتها، بالإضافةِ إلى اشتراطِ حصولكَ على حفنةٍ قليلةٍ من نسخِ كتابِك المطبوعِ على نفقتِهم، وبهذا لن تستطيعَ أن تستفيدَ ماديًّا، ولن تحصلَ إلّا على نسبةٍ زهيدةٍ ربما تكفيكَ لتعودَ أدراجكَ للجنوب!

أمّا إذا حالفَ الكاتبَ الحظُّ، وتمكّنَ من طباعةِ كتابِهِ من خلالِ وزارةِ الثقافة، فسيجدُ عندئذٍ الدعمَ الماديّ المناسبَ، ويضمنُ توزيعَ كتابِهِ في كافةِ معارضِ المملكةِ وربّما خارجها، وبسعرٍ زهيدٍ أيضًا يمكّنُ القرّاءَ من الحصولِ على الكتابِ بسهولةٍ ويُسر.

بعدَ حديثِنا حولَ كلّ تلك المصاعب، تساءلتُ عن دورِ وسائلِ التواصلِ الاجتماعيّ، ولمَ لا يلجأ الكاتبُ إليها في نشرِ كتاباتِهِ بدلًا من تكبّدِهِ كلّ تلك الصعوبات، فنحنُ اليوم في عصرِ التكنولوجيا، ويمكنُهُ السفرُ بما ينتجُهُ من أعمالٍ بكلّ سهولةٍ من بلدٍ لآخر، وهو يمكثُ في مكتبِهِ أو منزلِهِ، وقد أكّدَ خالد زيارة صحةَ ما أقول، إلّا أنّه ذكر أنَّ للنشرِ عبر الإنترنت سلبياتٍ تفوقُ إيجابيّاتِه، إذ قد يجدُ الكاتبُ نفسَهُ أمامَ مجموعةٍ من لصوصٍ ومُتقمّصي دورِ الكُتّاب، أو حتى دور الناقدِ الأدبيّ، إذ تُتيحُ وسائل التواصل الاجتماعيّ لكلّ من هبّ ودبّ كما يقولون، تقييمَ عملِ الكاتب، حيث يمكن لأيّ شخصٍ كان إبداءُ رأيهِ بفظاظةٍ، ودون رأي منهجيّ وأساليب نقديّة تؤخذ بعينِ الاعتبار، وقد يصلُ الأمرُ أحيانًا إلى الإساءةِ للكاتبِ شخصيًّا، أو مدحِهِ لاعتباراتٍ أخرى.

لكن على الجهةِ الأخرى، تُعَدُّ شبكاتُ التواصلِ الاجتماعيّ وسيلةً تخدمُ القرّاء والكتّاب، حيث يمكنُهم من خلالِها الإعلانُ عن كتاباتِهم ومواعيد مشاركاتِهم في الأمسياتِ والمهرجانات الكتابيّة، وتمكّنهم من متابعةِ الفعالياتِ ومواعيدها، والتسجيلِ للمشاركةِ فيها، كما أنّها تزيدُ من فرصِ التعاونِ والشراكاتِ مع كتّابَ آخرين، وتفسح مجالًا أكبرَ لتبادلِ الخبراتِ والمعارف.

بالإضافةِ لكلِّ ما ذكرَه الكاتبُ خالد زيارة، أضيفُ بدوري بأنّ الكتابة عالمٌ مليء بالتحدّياتِ والأمورِ المعقّدة، لكن يظلّ لها عميقُ التأثير على المجتمع، وفي ظلّ كلّ هذه التحديات، نواصلُ نحن شبابَ وشاباتِ العقبة الكتابةَ، ونظلّ نحاولُ ونطرقُ الأبوابَ أملاً في أن تُفتح لنا، وطمعًا في أن يصلَ صوتُنا إلى الجهاتِ المسؤولةِ، علّنا نحظى باهتمامٍ أكبر، فهل نلقى جوابًا؟

قلعة العقبة

أدب الشباب في العقبة
في درب الغياب

رباب زربتلي

هديرُ أمواجٍ عبثيّة

على انفرادٍ مع ذاتي ولغتي والورق، وأثناءَ سفرٍ شاقٍّ عبرَ روحي نحو المجهولِ، تمامًا من على شُرفةِ منزلي المُطلّةِ على سلسلةِ جبالٍ تَعانقَ فيها الصخرُ الناريّ مع الرسوبيّ، فاكتست بمزيجٍ فريدٍ من الورديّةِ والسوادِ، وهي ذاتُ الجبالِ المُطلّةِ على خليجِ بحرٍ زاخرٍ بالحياةِ في أعماقِه، وبينهما بلادٌ مسلوبةٌ محتلّةٌ قبلَ ميلادي بكثيرٍ، لم أزُرْها مع أنّ ما يفصلني عنها سكةٌ حديديّةٌ فقط، ومن أسفلَ منها تقعُ أحياءُ مدينتي السكنيّة.

كم تُشبِهني هذه الجغرافيا الجامعةُ لكلّ هذه المفارقات، ولهذا أجلسُ هنا مرارًا، بل صارت عزلتي فيها أشبه بطقسٍ مقدّس، أمارسُ فيه عبادةَ التأمّلِ في وجهِ الطبيعةِ، في الأرجاءِ أتفرّسُ التفاصيلَ الكونيّةَ، وأُنصِتُ إلى تراتيلها بخشوع.

لطالما قلّبتُ وجهي في السماء، وأنا أرسمُ بخيوطِ الدخانِ مُنحنى الكلماتِ وعمقَ الخَلَجات، والكثيرَ من الحواراتِ التي تتراقصُ في مخيّلتي معها، وعندما يتملّكني التعبُ، تسكنُ ذاتي، آخذُ نفسًا متصاعدًا، وألملمُ تفاصيلَ روحي بهدوء.

واليومَ، تُراودُني الحاجةُ لأُلملمَ شتاتَ السطورِ التي بعثرتُها في الهباءِ، فأنثرُ الأوراق، وأمسِكُ بالقلم، أحاولُ البدء بكتابةِ الكلمةِ الأولى ممّا يدورُ في داخلي، لكن لا طاقة بي لأفعلَ مثلما يفعلُ الكتّاب والروائيون غالبًا، فأضعُ القلمَ جانبًا، وأعودُ لنبشِ الذاكرة، وأستلقي على عشبِ الحنينِ في صدري، ثم أسألُ نفسي: ما هو سرّ حاجتي المُلحّة للكتابة؟

لقد أدركتُ منذ سنواتٍ طويلة أنّني بالكتابةِ أتحرّرُ من قيودِ المكان والزمان، ومن كلّ الأغلالِ التي تلفُّ كياني، ومع تقدّم العمرِ بي تشدّ وَثاقي أكثر حتى تعتصرني، فبالكتابةِ أجولُ كما يحلو لي، وأصفُ كلَّ تفاصيلِ الأحداثِ والمواقفِ والأحوالِ كما تبصرُها عيني، أو كما أريدُها أن تكون، فأعيد تسميةَ الأشياءِ بأسماء أخرى أختارُها بعنايةٍ لها، تمامًا كما يُملي عليّ شعوري تجاهها، إذ إنّ الكتابةَ تبدو بمثابةِ قلبٍ آخرَ لي، ينبضُ على الورق، ولي به حياةٌ أخرى تَعِدُني بالخلود!

وجدتُني على دربِ غيابٍ ما كنتُ أعانده أبدًا، وفي حفرةِ انهدامِ واقعٍ يبتلعُ الحياةَ من حولي، وأسئلة كثيرة كلّها تبدأ بكيف؟ لا منطق ولا عقل ولا لغة أمكنها أن ترتِّبَ أجوبةً كافيةً، ولا أجد ما يحملني فيُعينني على قلبي وصمتِهِ، تنفجرُ بعثرةٌ واكتظاظٌ، وكأنَّ كلَّ المدنِ في روحي قد اندلعت بينها الحروب، فركبتُ سفينة الشعور في رحلةٍ نحوَ ذاتي، حيث اللانجاة واللاموت.

في محاولةٍ منّي أن أسلكَ بالكتابة كلّ درب أظنّه قد يدلّني على معنى الحياة وسرّ هذا الوجود، أسافرُ في عمق روحي وقلبي، يقولون إنّني أُتقن الجمعَ بين المتناقضاتِ في شخصيتي، وأظنّهم محقّون في ذلك، لكنّهم لا يعلمون أنَّ هذه المتناقضات تجعلني آخذ وقتي في المكوث على الحدّ الفاصل بين نفسي ونفسي الأخرى، التي أنشأوني عليها كما يحلو لهم.

في العقبة.. البحرُ لا يوصلُ الرسائل!

أخذتُ بقوةٍ قلمي، ومهّدتُ من تحت أوراقي أرضَ شجوني، إذ لم أكن قارئةً نهمةً للكتبِ والروايات، إنّما أنتقي منها القليل، ممّا أجدُني في سطورِهِ أسلوبًا ومضمونًا، وأحبُّ أن أتابعَ ما يصدُرُ أدبيًّا عن كُتّاب وشعراء مدينتي التي أحبّ، ممّا أثرى لديّ الأفكارَ والتطلّعاتِ؛ للمساهمةِ بتعزيزِ الحالةِ الثقافيّةِ فيها، ومن خلال تواصلي معهم، والإعداد للقاءاتٍ تُسلي روح شغفنا، وتَخرجُ منها اقتراحاتٌ قد تشرقُ شمسُ تحقيقِها يومًا، وتصبحُ واقعًا ترتقي به ثقافةُ المدينة، مدينتنا التي نحبّ، العقبة.

كتبتُ وكتبتُ، وتنقّلَ القلمُ بخفّةٍ بين الصفحاتِ حتى راودتني عن الكلماتِ هواجسُ أوقفتني، وقالت لي بصيغةِ الأمرِ: تريّثي، فانهالت عليّ تساؤلاتٌ أثقلت صدري، ولا أنكرُ أنّها محبِطة!

لَمَنْ تكتبين؟ وهل شحّت على الرُّفوف الكتب؟ إنّكِ السّاكنةُ بعيدًا في أقصى الجنوب، يتمرّغ وجودُكِ في الرمال، وتسحبكِ الأمواجُ بعيدًا، إنّكِ منذ أعوامٍ تُحرّكين قلمَكِ كمن يكتبُ على ورقةٍ، ثم يلُفّها ويلقمها زجاجةً تُشوّهها الخدوش، ثم يُلقي بها في بحرٍ يبتلعُها قبل وصولِها إلى الضفةِ الأخرى! ثمّ هل ما زال في الناس، وفي الجيل الجديدِ هذا الذي توجِّهين إليه الروايةَ، مَنْ يقرأ؟ هل يُمسكونَ كتابًا ورقيًّا بأيديهم ويُسامرونه ساعاتٍ طويلةً كما كان يفعلُ الأولون؟

تذكّري أنّكِ ستدخلين دوّامةَ الإصدارِ والنشرِ، وستضطرّين إلى تكبّدِ عناءِ الجهدِ والوقتِ والمال؛ لبعد العاصمة عن مدينة العقبة، دعي القلم، واكتبي منشورًا على الفيس بوك يحظى ببعضِ الإعجاب، إنَّه المكانُ الأفضلُ لكِ.

أضيعُ في التساؤلات، وأكادُ أخبط رأسي بالحائط.. هذا الصوتُ على حقّ! فإذا تأمّلنا قليلاً في الواقعِ الثقافيّ في العقبة، فسنجدُ القليلَ من الفعاليّاتِ الثقافيّة التي من الممكن أن تخدمَ أيّ منتجٍ أدبيّ، غير أنَّ الإقبال على هذه الفعاليّات

من سكّان المدينة قليلٌ جدًّا، لم نحظَ يومًا بأمسياتٍ أدبيّةٍ ومناقشاتٍ ثقافيّةٍ نلتقي فيها مع مختلفِ الكتّاب والأدباءِ الكبار، الذين لمع اسمُهم في سماءِ اللغةِ والأدب، لم نحصل يومًا على الفرصِ التي نستحقّها، فنلجأ للمنصّاتِ الإلكترونيّة، لِمَ لا تصدرُ مجلّةٌ تُعنى بكتاباتِ شبابِ العقبة البعيدين جغرافيًّا عن أعينِ الوجوهِ الثقافيّة؟

لقد كبُرَتِ التحدّيات، لكن ليس من الصعب أبدًا تجاوزُها، ولكنّ ذلك يحتاجُ إلى تكاتفٍ لجهودِ كلّ الجهات المَعنيّةِ بذلك، ابتداءً بوزارة التربية والتعليم التي تنبعُ منها ثقافةُ الجيل، وانتهاءً بوزارةِ الثقافةِ التي يصبُّ فيها نتاجُ هذا الجيل، مرورًا بجهاتٍ أخرى لها الدورُ الداعمُ بلا شكّ، كوسائلِ الإعلامِ مثلاً.

أمامَ الشّاطئ خلفَ الشاشة..

من الجديرِ بالذكرِ أنّنا نشهدُ ثورةَ اتصالاتٍ لها الدورُ الفعّال في أن يعبرَ المنتجُ الأدبيُّ كلَّ الحدود، ودون جوازاتِ سفرٍ، وهذا الذي أفعله حاليًّا، فلا أجد سبيلًا غيرَ النشر عبرَ مواقعِ التواصلِ الاجتماعيّ، ووجدت من خلال ذلك أنَّ المتابَع – لن أقول القارئ – يبتعدُ عن الكتاباتِ الطويلةِ الجامدة، ويميلُ إلى كلّ ما هو مختصر يغذّي الذائقةَ السمعيّةَ والبصريّةَ، ما جعلني أُدخِلُ الخطّ والرّسمَ وبعضَ الصورِ في العرض؛ ليصيرَ العملُ الكتابيّ أشبه بمهمّةِ الإخراج، يدمُجُ ما بين الأدب والفنّ والتصوير، لعلّنا نحظى بمتابعةٍ نوعيّةٍ من داخل وخارجِ حدودِ الأردن أو حتى المحافظة.

إنَّ ما يجبُ العملُ عليه الآن، هو توجيه بوصلةِ الجيلِ الجديد نحو متابعة كلّ ما هو هادف، وإقصاؤُهُ عن كلّ ما من شأنه أن ينحدر بقيمه الأخلاقيّة والثقافيّة، وهنا سنقف أمامَ طريقٍ يجبُ تعبيدُهُ بخططٍ جديّةٍ ومدعومةٍ؛ ليسهُلَ على الجيلِ الجديدِ الوصولُ، فوجودُ رابطةٍ مطوّرة للكُتّاب مثلاً، تطرحُ دوراتٍ للكتّاب لعرضِ منتجاتهم الأدبيّة بطريقةٍ تواكبُ ثورةَ الاتصالات، وتعقد لقاءات بين الكتّاب والمُقبلين على الكتابة لتبادل الخبرات، سيكونُ له عظيمُ الدورِ في حدوثِ نقلةٍ عظيمةٍ في الحالة الثقافيّة في المدينة، وأخصّ بالذكر مدينة العقبة؛ لما لها من أهميّة كبيرة بصفتها نافذةً للأردن على العالم.

كما يجبُ أن تتحمّل كلُّ جهةٍ مسؤوليتها في طرحِ برامجَ ونشاطاتٍ تعزّزُ حالةَ التعطّشِ الثقافيّة بين جيلِ الشباب، وتحسّن أوضاع المثقّفين أدبيًّا واجتماعيًّا، من خلال التلفزيون والإذاعة، والمهرجانات والمعارض، والمبادرات المختلفة، التي تحملُ أفكاراً إبداعيّةً جديدةً، حيث إنَّ المجالاتِ في العقبة تحديدًا متاحةٌ لذلك.

إنّ لكلّ مواطنٍ منتمٍ لبلدِهِ، وللمكانِ الذي يسكنه، واجباً يُحتّم عليه أن يكون هو في ذاته مثقّفًا ومؤثّرًا بثقافته على محيطه؛ لنرتقيَ معًا، فالثقافةُ ليست مقتصرةً على الكُتُب، إنّما هي سلوكٌ إيجابيٌّ حسنٌ يمارسه الشخص في كلّ تعاملاتِه، تجعله يعلمُ الغاية من وجودِهِ، فيصيرُ ساعيًا مهتديًا، لا ضالّاً ولا مُضلّاً، إنسانًا يحبّ الجميعَ ويتقبّلُ الاختلافَ، ويمنحُ الخيرَ أينما تطلّبَ الأمرُ، ويؤثِّرُ على نفسه في سبيلِ قضاءِ حاجةِ الغير، تلك هي الثقافة التي نريدُ لها أن تنموَ أكثر وأكثر.

إنّني وزميلاتي، ومن خلال مهنتنا كمعلّمات، نحثّ الطالباتِ دائمًا على القراءةِ واستغلالِ أوقاتهنّ المهدورةِ على الإنترنت، من خلالِ انتقاءِ ما يرتقي بهنّ علميًّا وأدبيًّا وفنّيًّا، فالنجاحُ العمليّ مستقبلًا لا يقتصرُ فقط على تحصيلهنّ دراسيًّا، كما نحاولُ جهدنا أن نكونَ داعماتٍ لاشتراكهنّ في المسابقات التي تطرحها الوزارة، وآمل أن يتمّ الاهتمامُ بها، والتشجيعُ عليها أكثر، كما أقترحُ إقامة نوادٍ للأطفال من شأنها أن تُنمّي قدراتهم الذهنيّة.

إنَّ ثغرَ الأردنّ الباسمَ يستحقُّ منّا الكثير، فله الحبّ والوفاء منّا، نحن أصحابَ الرسالةِ في شتّى الميادين، وسيبقى اللّحنُ يشدو أبدًا ما هدرت الأمواجُ، وتلألأ المرجانُ في الأعماق، «محلاكي يالعقبة».

الروائي أحمد الطراونة/ الأردن

ملتقى الأجيال

كاتبان على طاولة في الجنوب
فاطمة الهلالات وأحمد الطراونة

في هذا الحوارِ تلتقي الروائيّة فاطمة الهلالات بالروائيّ أحمد الطروانة، وتُقيم معه حواراً حول تجربته في كتابة عدد من الروايات، فتُوجّه له أسئلةً، تسعى من خلال هذا اللقاء بين جيلين إلى استكشاف جوانب التجربة، فالأسئلةُ هي عماد أيّ عمل إبداعيّ جادّ، والإجابات هي نتاج الجدل العميق والحوار البنّاء.

كاتبان على طاولة في الجنوب
فاطمة الهلالات وأحمد الطراونة

حوار: فاطمة الهلالات

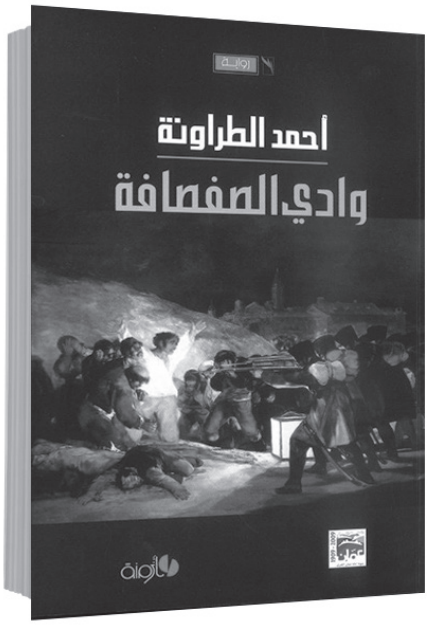

حصل **أحمد الطراونة** على ماجستير إدارة أعمال من جامعة الخرطوم عام 2002، وعمل صحفيّاً في القسم الثقافيّ في جريدة الرأي الأردنيّة، وعمل أيضاً مديراً لتحرير مجلة «الكرك الثقافية»، ومديراً لتحرير مجلة «أقلام جديدة» التي تصدر عن الجامعة الأردنية.

أسّس صحيفة «الناخب»، وعمل رئيساً لتحريرها مدة سنة، كما عمل أيضاً مشرفاً لمركز شباب الكرك مدة خمس سنوات، وأسّس مركز «وقت للدراسات والأبحاث»، ويعمل مديراً للمشاريع الثقافيّة فيه، وهو أحد مؤسّسي «الآن ناشرون وموزعون».

شارك وقدّم العديد من الندوات الفكريّة والثقافيّة، وكتب المقالة السياسيّة، والثقافيّة، والقصص الصحفيّة للعديد من الصحف والمجلات العربيّة، وهو عضو رابطة الكُتّاب الأردنيّين، وعضو اتّحاد الكُتّاب العرب، وعضو نقابة الصحفيين الأردنيّين. حصل على جائزة الدولة التشجيعيّة عن روايته «وادي الصفصافة» التي تحوّلت إلى عمل مسرحيّ كبير بعنوان (الهيّة)، وكانت العمل الختاميّ للكرك مدينة الثقافة الأردنيّة في عام 2009، وترشّح في الانتخابات النيابيّة عن الدائرة الثالثة في محافظة الكرك عام 2012.

صدر له عن (الآن ناشرون وموزعون)، رواية «وادي الصفصافة» 2015، ورواية «خبز وشاي» 2016. تُرجمت روايته «خبز وشاي» للغة الإنجليزية عن جامعة ميتشغين الأميركية 2021 ضمن مشروع ترجمة الأدب الأردنيّ، الذي تنفّذه وزارة الثقافة الأردنيّة مع الجامعة، وصدرت له كذلك دراسة «المشهد الثقافيّ في الفجيرة» عام 2013.

أمّا **فاطمة محمد سالم الهلالات**، فهي ابنة مدينة البترا، وُلدَتْ ونشأَتْ فيها، وتخرّجت من الجامعة الأردنية عام ١٩٩٩م، كلية الآداب/ بكالوريوس لغة عربيّة وآدابها، مارست مهنة التعليم في مدارس وزارة التربية والتعليم مدة ١٤ عاماً. ظهرت الموهبة الأدبيّة عندها في مرحلة الدراسة الإعداديّة، لكنها لم تنشر إلّا في عام ٢٠٢٠م، حيث أصدرت روايتها الأولى، فكتبت «77خريفاً» عام ٢٠٢١م، ثم أتبعتها بعد عامين بروايتها الثانية «آرام».

مشهد من المسرحية الأردنية "مدرقة" عن رواية "وادي الصفصافة" للروائي أحمد الطراونة.

• ما الذي دفعك للكتابة في بداية مشوارك الكتابيّ؟ وما هو الهدف الذي تسعى إليه من الكتابة؟ وهل تذكرُ أوّل نصّ كتبته؟

– لم يكن أول ما خطّ قلمي هو أول ما كتبتُ، كانت خطايَ بلا حذاء هي أول الأبجديّات، وأول الوشم على ظاهر كفّ الأرض التي حضنتني شقيّاً، وخفّفَتْ من بؤسي، وحين حلمتُ لأوّل مرّةٍ بقلم، تخلّق لي مِنجلٌ يقصل الأحلام، لكنّه يستفزّ فيّ البصيرة، ويُشعل فيَّ غواية الحكاية، حتى صارت الخرابيش الأولى مسارات طريق وعلائم وعي.

متى كان النصّ الأول؟ لا أعرف، لكنّه حتماً كان، ولأنّنا بلا ذاكرة، وبلا مرايا ترصد انصهار الأصابع في حواشي النصّ، ضاع في الطريق، واستمرّ التيه حتى هذه اللحظة، وهذا ما دفعني للكتابة، فحين تتوه الروح، تتعلّقُ بنصّها الأول، وسؤالها الأول: «لماذا جئتُ إلى هنا؟»، وجود وعدم، هو من يُشعل الدهشة الأولى في إصبع الكاتب، فيسوقه إلى حتفه، فما أن يترك النصّ حتى يموت، هكذا يقول رولان بارت، فماذا يكون الهدف بعد الموت؟ الخلود. ومنذ الآنَ وأنا أحاول أن أحوّلَ الحياة إلى رواية.

• إذا تشكّلت لديك فكرة أو هاجس لكتابة رواية جديدة، فكيف تبدأ بكتابتها؟ هل تضع خُطةً أم خطواتِ عملٍ واضحةً قبل الشروع في الكتابة؟

– في عالم مهما حاولت إخضاعه لقوانين الطبيعة لا تستطيع، عالم مرتجل، هُلاميّ، كأيّ قصيدة بلا قافية، كيف لك أن تضع خُطّة لتحكم مفاصل حكايته؟ شيء متعب، لكنّك إن تعلّمتَ أن تكون إلهاً ديمقراطيّاً، (والمثل الأعلى لله سبحانه وتعالى)، فستعرف كيف تكتب نصّاً، أو حياة، أو حَيَوات، تسير فيها الشخوص عبر مساراتها بحُريّة دون أن تتدخّل، وحين تكتشف النّفسُ الروايةَ التي تتصارع عن جوّانيّاتها، وتُحكم عليك الخناق، حينها تدرك أنّها لا تنطق عن الهوى، وإنّما أنت سرّ ذاتها الذي يقسم الوعي على ألسنتها.

• يقال الكتابة الإبداعيّة قد تكون للجمال والفنّ، وقد تكون للواقع؛ لتكون بذلك بوصلةً للوعي المجتمعيّ، أيّهما تُفضّل؟ وإلى أيّهما تصنّف روايتيك «وادي الصفصافة» و «خبز وشاي»؟

– لا أحد يعرف جوهره، فالإنسانُ في تلك اللحظة محلّ الحكم، والفنّ والجمال عابر لكلّ اللحظات، وهنا تضيع الفرصة للحُكم بشكل واضح، وعندما كتبتُ «وادي الصفصافة»، كتبتُ ذاتي وأنا أبحث عن الانعتاق، وعندما كتبتُ «خبز وشاي»، كتبتُ سيرة وطن يبحث عن الانفلات، في الأولى كنتُ حالماً، وفي الثانية كنتُ موجوعاً إثر تبخّر الأحلام، كلّنا نبحثُ في هذا الزُّقاق المليء بالمرايا عن الحقيقة، لكن أيّ حقيقة؟ وفي أيّ المرايا أو العيون تكتمل الحقيقة؟ فما أراه أنا حقيقة يراه الآخرون مجرّد وهم.

تُرجمت روايتك «خبز وشاي» إلى اللغة الإنجليزيّة، هل ساهمت الترجمة في نشر الرواية على صعيد خارجيّ وعالَميّ؟

– رواية «خبز وشاي» غارقة في المحليّة، تدور أحداثها في خربة صغيرة منسيّة في مكان قصيّ، فلماذا تُرجمت؟ سؤال مشروع، يؤكّد على جوهر الوعي في فكرة الترجمة، والتي تستند إلى نقل المحلّيّ إلى العالميّة، شريطة أن يستوعب النصُّ نفسُهُ هذا الشرطَ.

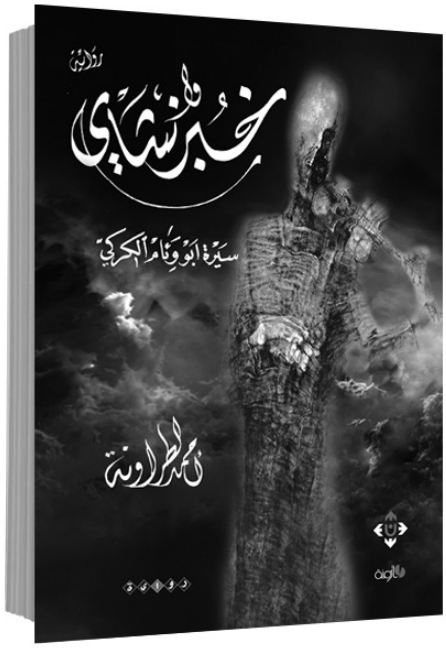

في رواية «خبز وشاي» مساحات إنسانيّة واسعة، فما الفرق بينك وبين أي إنسان آخر غير حاجز اللغة، فحين يُكسَرُ سيجد الآخر ضالّتَهُ عندك، والعكس تماماً، على افتراض تحقّق الشروط الأخرى، وهنا يكون النصُّ وعاءً للوعي المشترك، وهذا يقدّمك كإنسان، الأمر الذي يجعل الانتشار أوسع، والمثاقفة أكثر نضجاً.

وأعتقد أنَّ رواية «خبز وشاي» تستحقّ أن تكون بأكثر من لغة، وأنَّ ترجمتها من قبل الدكتورة نسرين أختر خاوري، أستاذة الأدب في جامعة دي بول الأميركيّة، هي فرصة حقيقيّة للنصّ أولاً، ولي أنا ثانياً، فالمُترجمة غنيّة عن التعريف، والحوار الواعي معها، والذي كشف كُنهَ النصّ، أكّد لي أنّها كانت أمينة عليه، وهذا يجعله أكثر انتشاراً بالطبع.

• هل تضمّنت أعمالك الأدبيّةُ شخصياتٍ حقيقيّةً من الواقع؟

– لا يُمكن لأيّ كاتب أن يكتب بمعزل عن وعيه الذي تشكّل على مدار عمره، وهذا يجعله يستعينُ بذاكرته، ويغرف منها بمقدار حاجته؛ لتستقيم الشخوص وتستوي، وحين تشبّ عن الطوق، تنفلت عنه، ويبقى يراقبها ويتخيّل مسيرتها وحركتها وسلوكها، ويبدأ يقارن كم أنَّ هذه الشخصيّة تُشبه فلاناً، أو أنَّ فلاناً قد سقط عندي وأعدتُ رسمه كما يحلو لي، أو أنّي قد استحضرتُ فلاناً بكلّيّته، وحمّلتُهُ ما أريد غيرَ آبهٍ بطاقته على الاحتمال.

كلُّ ذلك وأكثر يحدث، لكن وَفْقَ الشرط الفنّيّ والإبداعيّ الذي تدور في فلكه الحكاية، وهذا ما جرى فعلاً في نصّ «وادي الصفصافة»، وفي نصّ «خبز وشاي، سيرة «أبو وئام الكركيّ»، فبعضهم نسخ مشوّهة لأشخاص بين ظهرانينا، وبعضهم نسخ مُحسّنة، وكلّ هذا وفق الرضا والغضب، أو وفق أهواء الراوي العليم، ومدى سيطرته على الحكاية.

• بمن تأثّرتَ من الكُتّاب محليّاً وعربيّاً وعالميّاً؟

هنالك أسماء مهمّة محلّيّاً، تكاد تكون عالميّة في الرواية وفي السرد بشكل عامّ، ولعلّ الحضور الأردني على صعيد الجوائز، وهي الأداة الأكثر نجاعةً للتقييم الآن، أو على صعيد الحضور في السياق الإبداعيّ والفنّيّ، والتمكّن من الحضور كمدرسة إبداعيّة، يؤشّر على ذلك، لكنني لا أستطيع أن أتجاوز غالب هلسا وتيسير سبول، فهما بلا أدنى شك جسور ثقافيّة متينة، عبرَ من خلالها الأدبُ الأردنيُّ إلى العربيّة والعالميّة، وقد تأثّرت بغالب أيّما تأثّر، حيث كان شكله الفنّيّ يغويني حدّ التقليد، أمّا تيسير فهو فضاء واسع يدفعك للانفلات رغم قصر التجربة.

وعربيّاً هنالك اسم في مشروع السرد العربيّ، لا يمكن لأيّ كاتب أن يتجاوزه، الساحر إبراهيم الكوني، فنصّه يأسرني، وعالميّاً قرأتُ أمهات الرواية العالميّة، ورغم ذلك ما زلتُ أجد نفسي أسيرَ غالب هلسا.

• من هم الآباء الحقيقيّون للرواية الأردنيّة؟

– أعتقد أنَّ الرواية الأردنيّة وُلدت بنفس الظروف التي وُلدت فيها الرواية العربيّة، حيثُ الإحباطُ والتخلّف والأُمّيّة، كلّ ذلك أسهم في ولادة مشوّهة أو مقلّدة، أو ابنة بيئتها إن جاز التعبير، لكنّ الأُبوّة الحقيقيّة للرواية العربيّة هي في الأردن، فالروائيّ الأردنيّ الذي كُشِفَ سرّه لاحقاً، «عقيل أبو الشعر» وتمّ الكشف عن مُنجَزه الإبداعيّ المحلّيّ والعربيّ والعالَميّ، يؤكّد أنَّ ريادة الرواية العربيّة هي أردنيّة، فهو الذي كتب روايته الأولى في عام 1912، قبل رواية (زينب) للكاتب المصريّ محمد حسين هيكل، والتي يُؤرّخ بها لبداية الرواية العربيّة بشكلها الفنّيّ الحديث.

فعقيل أحد أهمّ آباء الرواية العربيّة والأردنيّة، وبعده يستمرّ المشوار، مروراً بمحمد بطاح المحيسن، وروكس العزيزي، حيث قطعت الرواية مشواراً طويلاً، مروراً بعبد الحليم عباس، وتيسير السبول، وأمين شنار، وصولاً إلى غالب هلسا، ومؤنس الرزاز، وسميحة خريس، وليلى الأطرش، وقاسم توفيق، وإلياس فركوح، وإبراهيم نصر الله، ومحمود الريماوي، وجمال ناجي، وغيرهم، وصولاً لجلال برجس، وهيا صالح، وهزاع البراري، ومفلح العدوان، وغيرهم من جيل الشباب.

هؤلاء هم من يصنعون مع غيرهم من الأسماء الجديدة المشهد السرديّ الأردنيّ؛ ليكونَ بموازاة المشاريع السرديّة العربيّة، وليس بأقلّ منها إن لم يكن قد تفوّق عليها في بعض المفاصل.

• هل احتفظتَ لنفسك بمخطوطات روائيّة أو أيّ أعمال أدبيّة؟ وما أسباب إحجامك عن نشرها؟

– لا أحتفظ بنصّ لنفسي، فأنا أكتب كي أتحرّر، وأخرج من شرنقة تلتفّ حولي، فلا يمكن أن أكسر شرنقةً تلفّني ثم أعود أرمّمها على جسدي وروحي من جديد. هنالك نصّ ما زال يحبو، لكنّه نصّ ثقيل، رواية ما تزال في أحد أطوار المخاض، هي رواية «بنات لوط»، وقريباً سترى النور.

هنالك مجموعة من النصوص المسرحيّة، لم تُنشر لعدم رغبتي في نشرها، ليس لسببٍ آخرَ، وهنالك مجموعة قصصيّة عرجاء، تحتاج لقصة كي تستند واقفةً، وتستطيع الخروج إلى حيز الحياة الصغير، وما زال النّصّ يتعسّر في الولادة.

• هل هناك محاذير وتابوهات معينة تتجنّب الإشارة إليها في كتاباتك؟

– يُراقبوننا، ونحن نتحايل على أعينهم، أحياناً نُمرّر بالمكر، وأحياناً بالتورية، وأحياناً نرفع الصوت حينما يكون ضوء الحقيقة ساطعاً تعشو به عين الرقيب، من خلق التابوهات؟ ومن جعلها تُعشعش في سرائرنا وتكون أخطر من الرقيب نفسه؟

إنّهم يوهموننا بالرقابة حتى أصبحنا أشدَّ رقابةً منهم على أنفسنا، وبدأنا نُرتّب أنفسنا على إعادة كتابة ما هو موجود كي نبقى! وهل نبقى إن كتبنا السائد؟ أم نُشنق بما كتبنا؟!

إنَّ سرّ الفنّ في أن تقف على حافة الواقع، وترى ما لم يرَهُ الآخرون، وتقوله بطريقة تجعلهم يخافون، لا تابوهات، ولا مُحرّمات، ولا أيّ قيد يمكن أن يمنع المبدع الحقيقيّ، لكنّه يمكن أن يُطوّع أدواته كي يحتال على الواقع ويرسم صوراً جديدةً، ويمسح من على جدران المعابد الأساطير القديمة، ويُبشّر بأساطير جديدة، وإلّا كيف يمكن أن نُفسِّر مقولة برنارد شو: «إنَّه لا يفهم تماماً الأسباب – باستثناء كسب الرزق – التي تجعل الإنسان يرغب في التمثيل على خشبة المسرح، بينما لديه العالم كلّه ليمثّل فيه».

• ما هي التِّقْنيّات السرديّة التي تلجأ إليها في الكتابة وتنصحنا بها؟

الكتابة نوع من أنواع جلد الذات أو استنطاقها، أو صراخ بلا صدى في جوف معبد مليء بالكهنة، لا أعرف إن كانت الكتابةُ فنّاً، أم هي تجربة، أم هي خليط ما بين الواقع والوعي باللاواقع، لا أعرف إن كانت الكتابةُ ملاذاً، أم مكاناً للاستراحة والتخفيف من الأثقال، لا أعرف إن كانت الكتابةُ زوبعةً تُحرّك في نفسك الفوضى كي ترى ما هو غير مألوف.

لذلك لا شكل واضح للحياة، أيّ حياة، حتى لو كانت من صنعنا في أيّ نصّ، ساذج أو مكين، فحين يُؤطَّرُ الإبداعُ بقاعدةٍ لا يعود إبداعاً، لذلك لا بدّ من الانفلات من كلّ شيء، حتّى يُثير النصّ فوضاك، وتبدو أكثر عُرياً أمام الغرباء، الغرباء عن الألم الذي يكتنزه النصّ.

• على الصعيد الثقافيّ العام – في وقتنا الحاضر – تكتظّ الساحة الأدبيّة بآلاف من الأعمال الأدبيّة المتنوّعة محليّاً وعربيّاً، والتي تتقدّم للجوائز المحلّيّة والعربيّة، فهل يُعَدّ تقدّم أعداد كبيرة من الأعمال المقدّمة للجوائز ظاهرة سلبيّة أم إيجابيّة؟

– على العكس، الجوائز أداة تحفيز مهمّة، تستثير الكُتّاب للتنافس وتقديم الأفضل، وتجويد النصّ الإبداعيّ؛ ليكون أكثر قدرة على البقاء والدوام، وهذا يُعَدّ ظاهرة إيجابيّة وفكرة نبيلة، بعيداً عمّا يجري وراء الكواليس في هذه الجوائز وإدارتها.

• ما هي النصائحُ التي توجّهها إلى الكتّاب الجدد والمبتدئين؟

– الكتابةُ في هذا الزمن المليء بالمخاضات، لا بدّ لها من موقف، موقف من الأشياء ومن الحياة، فالكتابة بلا موقف هي تكريس للرداءة والتخاذل والانسحاب، الفنّ ليس للفنّ وحدَهُ، وإنّما ليشكّل موقفاً مسبقاً نحاول اللّحاق به.

الكتابةُ دعوةٌ للبقاء، والبقاء لا يكون إلّا من خلال تجويد النصّ، وتجويد النصّ يكون بالفكرة والشكل الفنّيّ والرمزيّة العابرة للزمن. الكتابة مجالدة، مقارعة للسائد، محاولة الانفلات من كلّ التابوهات إن أمكن حتى تنتصر للحياة وقضاياها، الكتابة هي محاولة ترتيب هذا العالم المليء بالفوضى ليكونَ عالماً مُشتهى.

لوحة الفنان: إبراهيم أبو طوق/ الأردن

- الجنـوب ..... ديالا البطوش
- أمضي إليَّ ..... محمد عويس
- أمّي وماكينةُ الخياطة ..... دعاء الزيود
- هـذيـان ..... رندا المهر
- من الصّفر ..... عروبة الخوالدة

ديالا البطوش

أنـا مـن الجنـوب، حيـث تولـد الخُرافـات، جئـتُ إلـى الدنيـا في العشـريّة الأولـى مـن آذار، عقـد الحـوت صرّتـي ورماهـا في السـماء، ولا أشـكُّ في أنَّهـا لامسـت هنـاك ضـوءًا مـا، وهكـذا صـار لـي نجمـي الخـاصّ.

وقتـذاك وأنـا أعـدّ عمـري علـى أصابـع اليـد الواحـدة، كنـتُ أخـدع أمّـي وأقـول لهـا: لـن أنظـر للسـماء، كانـت الكهربـاءُ شـحيحةً، والسـماءُ تمـوج في ظلمتهـا الهادئـة، والنّجـوم مصابيـح تتوهّـج وتخبـو، تطيـر وتختفـي، تشـتدّ وتخفـت، إلـى أن شـارفَ آبُ علـى الانتهـاء، ولـم نجمـي بشـدّة، ولـم أكـن قـد بلغـتُ الثامنـةَ بعـدُ، كانـت ليلـةً مـن ليالـي آخِـرِ الصّيـف، وقـد انقطعـت الكهربـاءُ، كانـت لدارنـا فُسـحةٌ صغيـرةٌ مـن الأسـمنت، تضـع أمّـي فراشـنا فوقهـا بعـد أن تُبرِّدَهـا بالمـاء، فتفـوح منهـا رائحـةٌ جميلـةٌ تغمـرك بالراحـة والسـكينة، كنـت أسـتلقي فـوق الفـراش، وأوسّـد رأسـي فـوق كفّـيَّ الصغيرتيـن، وأحـدِّقُ في السـماء، كانـت النجـوم أوضـح وأجمـل، أعـدّهـا واحـدةً واحـدةً، أبلـغ المئـة والألـف، ثـم أبلـغ نجمـي الأحـبّ.

مضـى العمـر، كبُـرْتُ حـين لـم يكـن علـيَّ أن أفعلهـا وأكبـر، اختطفَـتِ الكهربـاءُ ظُلمـةَ السـماءِ الهادئـةَ، واغتالـت آلاف النجمـات، واختفـت الفسـحة الأسـمنتيّة مـن أمـام الـدار، صـارت مكانَهـا واحـدةٌ بيضـاءُ لهـا سـورٌ منمّـقٌ، وحـالَ سـقفٌ مـن القرميـد بينـي وبـين السـماء، لكنّـي حفظـتُ موعـدَ نجمـي، إنّـه يجـيءُ في ذيـل آب.

نتشابه أنا وهو في جنوبيّتنا وبريقنا وبشارتنا، عمره 27 مليون سنة، أسموه سُهيل، وقبلتُهُ هكذا باسمِهِ ووهجِهِ، وبِشاراتِهِ التي لم تحدث يومًا.

يعرف أسراري، وشهد انكساراتي كلّها، ورغم ذلك أنتظرُهُ ببالغ الحبّ، أراه يسري ببطءٍ، فيه الكثير من الانتشاء، يدور حول الكون الذي لا يحتملُ في لحظتها سوانا ثم يغيب، هكذا إلى أن يهطل المطر، نجمُ سهيل خرافتي التي وُلدت معي، ويقينًا سوف أموت قبلها.

خرافةُ الثآليلِ لم تحرِمْني متعةَ إحصاء النّجوم، الليلةَ فعلتُها يا أمّي، رأيتُ بناتِ نعشٍ، وجدّتي الثّريّا، كان اسم جدّتي لأبي ثُريّا، قال إنّها جميلة رغم أنَّه لا يعرفها، لم يرَها يومًا، ماتت وهو صغيرٌ جدًا، لم أشكَّ للحظةٍ أنَّها كانت جميلة، لا شكَّ في أنَّه يُشبهها، هو جميلٌ جدًّا، وعميقٌ، ونظرُهُ يتّسع مثل سماء، وصوته ينداح مثل مجرّة، كانت أمّه نجومًا وكواكبَ، كان أبي ضوءًا لا يخفت، وامرأة تتبعُ ضوءَ أبيها لا تنطفئ.

منذُ أن ابتلعَتْ فوضى الكهرباء هدوءَ عتمتنا، وأنا أعدّ الثآليلَ ولا أبصرُ النجومَ، الليلةَ يا أمّي ذبلت ثآليلُ قلبي، وبصقت النّجومُ عتمةً لا تطاق في السماء، وانطفأ البريقُ الذي حملتُهُ دائمًا، هذه ليلةٌ لحزنٍ مُضاعَفٍ، لسماءٍ صارت أبعد، لكواكبَ اختفت من الكون، هذه ليلةٌ أتفقّدُ فيها مسارَ قلبي، لقد خرجت خطوته الأخيرةُ عن الدرب.

تتعثّرُ القلوبُ يا أمّ، وتسقط، وقد لا تنهض مجدّدًا، سقط قلبي في فخٍّ لذيذٍ... سقط قلبي يا مريم.

أمضي إليَّ

محمد عويس

بِوسعِكَ الآنَ
أَنْ تَنْهَضَ
ويتحرَّى الفجرُ فيكَ
أَثَرَ الحياةِ
ويُزهِّرُ الصَّلصالُ مشدوهًا
مِن غُصنِكَ المكسورِ
وتلوحُ مودِّعًا لأيّامِكَ
في الفراغِ
عامانِ من العُزلةِ
كانَتْ تكفي لاحتراقِ
النُّدوبِ والشُّحوبِ
في مقلتيكَ
بوسعِكَ الآنَ
أَنْ تمضيَ
ويسقطُ من ذراعيكَ الوقتُ
أو تبقى شريداً ظامئًا
تبحثُ في الظِّلال
عن سُقيا من بكاءٍ
أو تفتحُ الأبوابَ
للموتِ

والموتُ قد لا يجيء

أرأيتِ؟

نحنُ لم نفترقْ أبدًا

ورُبَّما نلتقي ذاتَ يومٍ

ونتبادلُ أطرافَ اللَّهفةِ

بينَ الكَتِفَينِ

ويثورُ الدَّمعُ فينا

ثورةَ المُنتصرينَ

العائدينَ مِنَ الحَربِ

ولكنَّنا بذاتِ الطَّريقةِ

بذاتِ المسافةِ

تدفعُنا يدُ الذِّكرى

ونمضي قُدُماً نحوَ الخريفِ

أرأيتِ؟

كيفَ تتعثَّرُ الآه

في مُنتصَفِ الطَّريقِ

ويُديرُ كُلٌّ مِنَّا ظهرَهُ إلى التّيه

ونبحَثُ في المَدى

عندَ مُصادِقٍ وقميصٍ!

بوسعي الآنَ

أَنْ أُناديكِ

أَنْ أهتِفَ باسمِكِ

فيصيرَ الهُتافُ كُورالًا

مَوّالًا مِنَ الدُّموعِ

وأُخرِجَ التَّقويمَ

وفارِقَ التَّوقيتِ

وعِناقَنا المُؤَجَّلَ

عن جادَّةِ الصَّوابِ

ولكنَّني

بكُلِّ ما أوتيتُ من وَهْنٍ

أمضي ويُنزِفني حُطامي

إلى عتمةِ الأبدِ

أمضي إليَّ

وكلانا يُراوِدُهُ الوَجْدُ

قلقُ السُّؤالِ

هزائمُ الصَّمتِ

الَّتي تقاسمَتْها الجهاتُ

أمضي إليَّ

والقَدَمانِ مُسافرتانِ

وأنا هُنا

مثلما أنتِ الآنَ

يغفو على مِعْصَميكِ اللَّيلُ

يسقطُ وِشاحُكِ

يتدلّى شعرُكِ

قلبُكِ الَّذي تطعِمينَهُ للعصافيرِ

وصوتُكِ المُمتدُّ من منفى إلى منفى

مثلما أنتِ الآنَ

تُجلِسينَ النَّوى إلى جانِبِكِ

تُغلِّقينَ أبوابَ الحياةِ

وتُغلِّفينَ قلبَكِ

تُعلِّقينَهُ على أعمدةِ الإنارةِ

في الطُّرُقاتِ كلوحاتٍ إرشاديّةٍ

للَّذينَ يذهبونَ إلى المجهولِ

أو للعائدينَ من بلادٍ بعيدةٍ

مثلما أنتِ الآنَ

هكذا يتهاوى الجسدُ

ويتساقطُ القلبُ شيئًا فشيئًا

فأرتقي قتيلًا

من صُوَرِكِ الَّتي تملأُ الذّاكرةَ

من ثغرِكِ إلى شامتِكِ

حيثُ نَحْرُكِ

الَّذي أجهشَ بالحنينِ

إلى شهوةِ العناقِ

من صوتِكِ الَّذي ما زالَ يأتي مَعَ الرّيحِ

وتمضي بِيَ الأيّامُ

أقتفي أثرَ الحياةِ

ويتبعُني الطَّريقُ

ويُرهِقُني حنيني إليكِ

ودومًا يقودُني إلى العَدَمِ

أمضي إليَّ

ولي جُرحانِ

في كَبِدي

وبي كَمَدٌ

وبي ظمأُ الصَّحارى

تتوقُ إلى الماءِ

يا وحشةَ الدُّنا

في غيابِكِ

يا خطويَ الضّال

في سَعَفِ المغيبِ

يا حُزنَ الثَّقلانِ

بينَ أصابِعِكِ

وأنتِ تُدرِّبينَ دمعَكِ على الغناءِ

يا غُربةَ الدَّمعِ

على الخدّينِ

وأنتِ تُجدِّلينَ ضفائِرَكِ

تَعُدّينَ أيّامَكِ في المرايا

ودومًا تجدينَها مُظلِمةً

أمضي إليَّ

وأمشي إليكِ

وما من غائبٍ سِوايَ

فقولي لي

مَنْ يُراوِدُهُ ظِلُّهُ أولًا

على ذاكَ الضَّريح

دمي

أم صوتك؟!

لوحة الفنان نورالدين تابرحة/ الجزائر

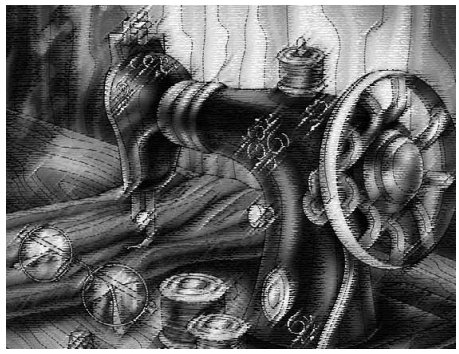

أمّي وماكينةُ الخياطة

دعاء الزيود

أعتقد أنَّ الجميعَ لديه القدرةُ الكافيةُ والسليمةُ على تكوين قصّةِ حياةٍ خاصّةٍ به، ويشترك الجميع في تكوينها؛ كي يحظَوْا بعلاقاتٍ، ولكن من الصعب جداً أن تكون إنساناً في عمر الثلاثين، ولكن بروح طفلٍ؛ لتنخرطَ في تلك العلاقات دون أن تكونَ لكَ نسخةٌ من قصّةٍ حياتيّةٍ وذكرى تجعلك تنخرطُ فيها وتطفو حولك.

يعود بي عقلي الباطن إلى عام ١٩٩٦، حيث كانت جدّتي أمّ حسين الخيّاطةَ الوحيدةَ في الحيّ الغربيّ القريب من سكّة الحديد، والتي كانت تمتلكُ ماكينةَ «سنجر» الأصليّة، بلونها الأسود وطبعتها المُذهّبة، حيث اعتادت أن تُخيِّطَ وبابُ بيتها مفتوحٌ على مصراعيه، تستقبل جاراتها، وياسمينةُ بيتها تتمايلُ أمامَها مع نسمات الهواء ورائحة البرسيم القادمة من نواحي جبل حمدان.

فالنّسوة كُنَّ يدخلْنَ واحدةً تلوَ الأخرى، هذه تُريد خياطةَ مَدْرَقتها، وتلك تُريد درزةً سريعةً لثوب زوجها المشقوق، أمّا تلك الصّبيّة الخَجْلى، فتقفُ خلفَ أمّها وهي تشرح لها كيف تريد الحصول على تصميم لمريول لمرحلتها الثانويّة، بتفصيلٍ تُباري فيه قريناتها، وقرافةٍ كحليّةٍ تتوسّط نَحْرَها كسنسالٍ أهداها إياه حبيبُها العسكريُّ في تلك الأيام.

أذكرُ ضفائرَ الشَّعْرِ الطّويلةَ التي كانت تعقدها لي كلَّ صباح، كضفائر فرسٍ أصيلةٍ في بيتها المليء بالوفاء. أمّ حسين السّيّدة الأكثر ذكاءً وحنكةً وإبداعاً بين الجدّات اللواتي عِشْنَ زمنَها، غابت عن حياتنا منذُ عامين، ولكنّها ما زالت تُخيِّطُ خِصالَها التي ورثناها عنها بذاكرةٍ لا تَنسى، وبزمانٍ لا يمرّ.

قبل أيامٍ قلائلَ بدأت أمّي بالعودة لمهنة الخياطة، بعد ما ورثتها من أمّها – رحمها الله – منذ تسعينيّات القرن الماضي وأكثر، أمّي تُفضِّلُ نوعاً محدّداً من ماكينات الخياطة، وهي (سنجر)، إذ تُعَدُّ ماركةً مشهورةً، كانت تقول عنها: إنَّها أصليّةٌ. نعم، وذلك لزمنٍ مرّ، كان له جمالُهُ حينَ اجتاحنا شعورُ الذكريات لبيت جدّتي وماكينتها لحظةَ سماع الدَّرْزة الأولى للماكينة العصريّة، كأنَّه خبرٌ مُفعَمٌ ببوادر الفرحة، عادت لبيتنا منذُ زمنٍ فرحةٌ خالجَها أملٌ ورديّ، تطاولت له

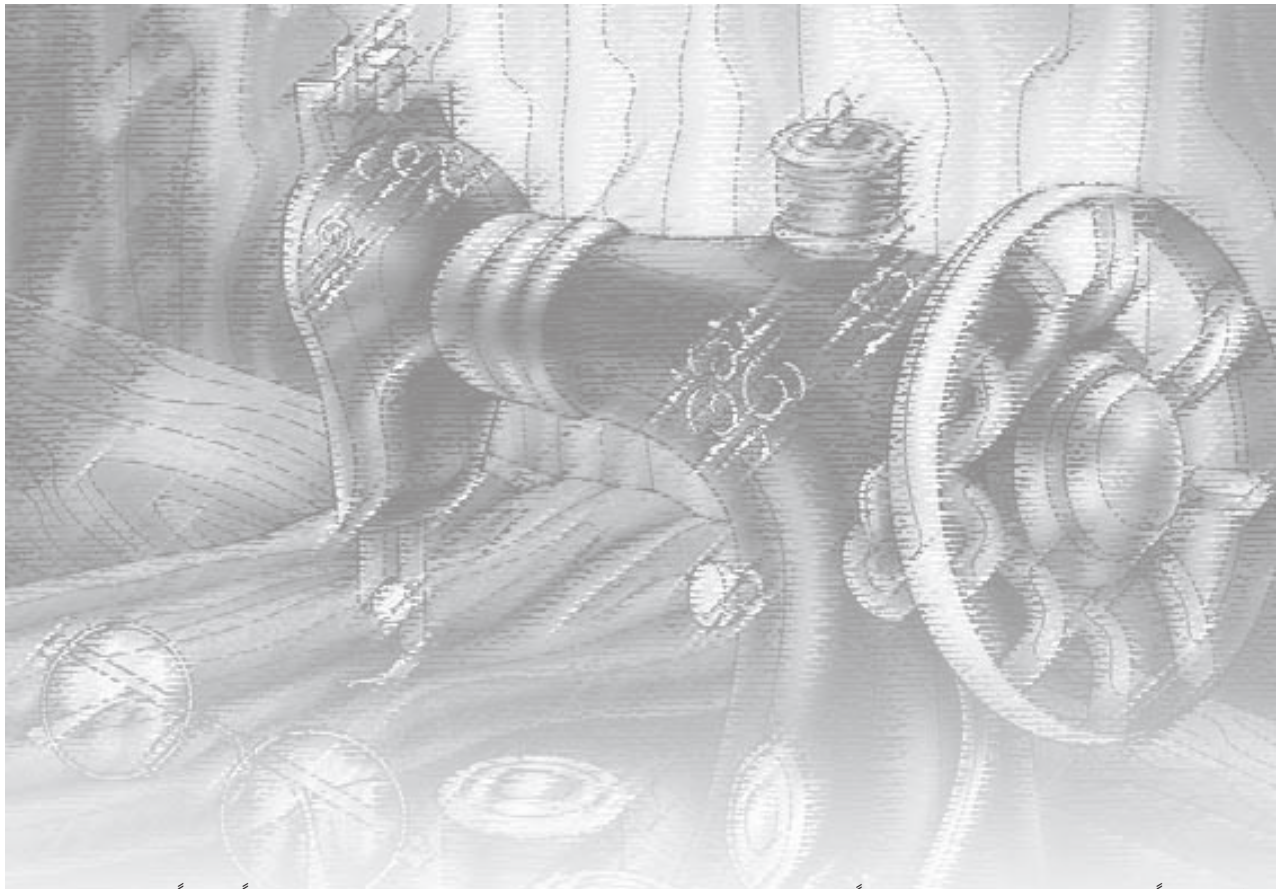

رقابُنا شوقاً، وازدحمَتْ حوله أكتافنا بهجةً، فنحن قبلها نكاد لا نحلم، فرحتُ جدّاً بخبر هذه العودة المحمودة، لتلك الآلة التي ربّت الكثير منّا، حتى أصبحت رمزاً لبيت الأحفاد.

جلستُ لحظاتٍ أُفكِّرُ وأنا أتمعّن وجه أمّي المليء بالتجاعيد والتعب، وصوت ماكينتها ينخر في رأسي ليُخيِّطَ ذكرى جراحي حتى تلتئمَ، محاولةً أن تُنسيني تلك الإبرةَ التي تغرزُ في ذاكرتي كإصبع مدبّب. فبالرغم من البهجة العجيبة التي خلقتها تلك المهنةُ لأمّي، وبالرغم من قساوة ظروفها، إلّا أنَّها كانت تطفو في وعيها لأيّام طفولتها مع إخوتها وأهلها، يا لها من امرأةٍ رزينةٍ حتى في تفاصيل ذكرياتها!

منذُ طفولتي كنتُ أعرف جيّداً الكثيرين الذين لم يُفطموا على صوتها، ولم يشعروا بوخزات إبرتها في أقمشتهم، ياه! كم صاغت تلك الماكينةُ من الألحان الموجعة! وكم هيجنت قديماً جدّتي حولها أحفادها، ومن بعدها أمّي بصوتها العذب، وهي تُخيِّط ونحن نجلس حولها. سنجر رمزٌ لنا.. كم رقّعت لنا خِرَقاً، كم نسجت لنا أمّي بدرزاتها كلّ ما يمكن ولا يمكن تخيّله لي ولإخوتي، وكم آوت لنا ليلاً هادئاً، وكم سهرت مع أمّي لنستطيعَ أن نذهب إلى مدارسنا وجيوبنا إن لم يكن فيها ما يسدّ بعضَ جوعنا، فكانت ملاذاً آمناً من لفحات الحرمان.

لا يُمكنني أن أعدَّ ولا أن أُحصيَ عددَ ما أنتجته هذه الأنامل وهذه الماكينةُ من قطع ثياب، فساتين، كسوات الفراش، معاطف، وحتى شراشف مضافة بيتنا القديم، فكانت أناملُ أمّي تحوّل الملابس ذات الحجم الكبير، لملابسَ على مقاس إخوتي الصّغار، وملابسها لملابسَ لي، أذكرها حينما كانت تُعيد تفصيلَ ملابسها لتناسبَ مقاسي، وتُضيفَ لمساتِها المباركةَ على نفس القطعة بعد حين؛ لتبدوَ جديدةً لا تشبه ما كانت عليه أمامَ صديقاتي.

لحظاتٌ لا تُنسى... فنحن ما زلنا نتناقل الخيرَ بكلّ فرحة، وما زالت سنجر مركونةً على طاولةٍ هناك في زوايا الغرفة، فتلك الآلة لم تبخل علينا يوماً، فقد جادت بعطائها منذ عام ١٩٨٤ لغاية هذه اللحظة.

هـذيـان

رندا المهر

تتسـلّلُ نظراتُهـا بذعـرٍ خلـف الشاشـة، إلـى أنـاسٍ يتـراءَوْنَ لهـا أنَّ أيديهـم تسـتطيل، تجذبهـا، ثـم يصـمّ أذنيهـا زعيـقُ بـوقٍ يُصـدره موكبُ سيّاراتٍ سـوداءَ، يقتـرب إليهـا أكثـر فأكثـر، ينفـذ مـن الشاشـة، يوشـك أن يدهسـها، تـواري وجههـا بكفّيهـا، تصـرخ:

– أمّي.. لا أريد أن أموت.

تُهـرَعُ الأمّ مـن المطبـخ علـى صوتهـا، تضـع كمّـاداتٍ علـى رأسـها تـارةً، وأخـرى علـى بطنهـا، تأتـي بثلاثـة أحجـارٍ كريمـةٍ؛ حِـرزاً مـن الحسـد، تدسّـها في صدرهـا، ثـم تدعـو:

– يا ربّ.

الأبُ لا يحـّركُ سـاكناً، يلـوكُ عقـبَ سـيجارةٍ بـين أسـنانه، يتّكـئ علـى وسـادةٍ، يقول:

– لن أستطيعَ الخروج إلى العمل.

يُفرُكُ كفّيه، يردفُ بنظرةِ استعطافٍ:

– برد اليوم... قارس.

تنظر إليه الأمّ، ترتجيه:

– الصيدلية قريبة.

– لم يعطِني المعلم مالاً البارحة.

تشيرُ بيدها من جهة النافذة إلى ناحية المعمل...

– اذهبْ إليه.

ترجـع إلـى المطبـخ، تجلـبُ إبريـقَ شـاي سـاخن، تقتـرب مـن ابنتهـا، تسـند رأسـها...

– انهضي.. واشربي.

– مُرّ يا أمّي.

– سيُخفّف عنك، هيّا يا أمّي.

تتدثّر بالغطاء، وتعاود النظر إلى مسلسل «لعبة الحياة»، ترى البطلة ما تزال تبحث عن ابنتها. تغشو عينيها سحابة، تزداد حرارتها، تراهم دنَوًا منها، تدفن رأسها تحت اللّحاف، تتسلّلُ أيديهم تحته، يحملونها بين أذرعهم، تبكي:

– إلى أين؟

أحدهم يُجيب بحنوٍّ:

– ذلك الرجل سوف يهتمّ بكِ جيّداً.

تصيح:

– لا.. أريد أمي.

تقف الأمّ وتسند ظهرها، تصرخ في وجه الأب:

– ابنتك تموت وأنتَ لا تبالِ.

ينظر الأب إليهما، يخرج، يصفق الباب وراءه، يلفحها هواء من الخارج، تشعر بانتعاشٍ، تتشبّث بيدي أمّها، تغمُضُ عينيها، تسمع همسها...

– يا ربّ.

الآنَ ألتحفُ وحدتي، تعصف الحرارة بي، تغرق عينايَ بالدموع...

– أينَ أنتِ يا أمّي؟

من الصّفر

عروبة الخوالدة

لا أذكرُ تحديداً كيفَ بدأتُ الكتابة، فبدايتي أقدمُ من وجودي، ولهذا لا أذكرها، لكنّني أذكر أول موضوع تعبيريّ قمتُ بكتابته وأنا على أدراج الصّفوف التعليميّة، لم تُصدِّقْ معلّمتي في حينها أن نصّاً كهذا يخرجُ من أنامل بنتٍ صغيرةٍ، لم تكن تدري بما تختزنه تلك الطِّفلةُ من حزنٍ لا يعرفُ أن يهربَ إلّا من خلال الحرف.

اتُّهِمْتُ في ذلك الوقت بسرقة النّصّ، ومنحتني المعلّمة صفراً لن أنساه ما حييت، فقد كانَ بالفعل نقطةَ الصِّفرِ التي انطلقتُ منها. أجبرتني المعلّمة على ترويس نصّي بعنوان «منقول» بالقلم الأحمر، وبالبنط العريض، وإعادة نسخ النصّ خمسَ مرّاتٍ أقرّ بها في كلّ مرّةٍ بأنَّ ما كتبتُ، ليس لي!

في المرّة التالية، تملّكني الخوفُ من هذه التجربة، فقرّرتُ أن أكتبَ بالأسلوب النمطيّ، شأني شأن غيري من زميلاتي في الصّفّ، مقدّمة ونصّ رتيب وخاتمة، وكفى اللّه المؤمنينَ شرَّ القتال.

ولكنّني وبحكم تنشئتي من عائلة ثوريّة، لم أتمكّن من الرّضوخ والقَبول، وكلّ ما في داخلي يصرخُ لأكتبَ كما أريد.

قرّرت تلك الطفلةُ أن تُثبتَ صدق موهبتها، شاء من شاء، وأبى من أبى!

وكتبتُ نصّاً تعمّدتُ فيه استعراض مهارتي التي اكتسبتها من خلال الكثير من القراءة والمطالعة، والمحاولات الكتابيّة، فجاء النّصُّ غارقاً بالسجع والجناس والكنايات، مُضمراً بالإيجاز حَدّ الثمالة، بسيطاً متمنّعاً، جاء بكلّ الاختلاف الذي يُعرّف عنّي خير تعريف.

وحين قدّمتُ لها نصّي الجديد، قالت بنبرةِ تأنيبٍ وتوبيخٍ:

فعلتها مرّةً أخرى يا عروبة؟ ألا تتعلّمين الدرسَ أبداً؟ لمن هذا النصّ؟ مَنْ كتبه لكِ؟

وبرجفةِ الطّفلةِ أمامَ المعلّمة، لملمتُ شتاتَ نفسي وجأشي البريء، وقلتُ: لا أحد يكتبُ لي «مس»، وحدَهُ نصّي يكتبني، يكتب اسم كاتبه وملامحه وثقافته، هذا النصّ لعروبة.

كدتُ أصدِّقُ السّحرَ حينَ تبدّلت ملامحها وقالت: أبدعتِ! صفّقوا لعروبة!

وهكذا وُلِدَتْ عروبةُ الكاتبةُ من الصّفر.

عندما فاتني القطار

ابتسام الخواطرة

عندما فاتني القطار

ابتسام الخواطرة

تلك المرايا الموزّعةُ في عيون البشر، انقضَّتْ عليّ كقطيع الذئاب، لم أكن ذات وجه جميل، ولا قَوامٍ مثاليٍّ، فقط كنتُ قارئةً منذُ الصِّغر، كنتُ أصاحب تلك الألغاز البوليسيّة منذ الصف الرابع الابتدائيّ، أقرأها بنهمِ المُكتشِفِ السرّيّ، تدور عيناي الصغيرتانِ في تفاصيلي اليوميّةِ بريبةِ المُحقّقِ البوليسيّ.

أذكرُ يومَ نادتني مُعلّمتي باسم (ابتسام سلامة)، واسم والدي في الحقيقة هو (سليمان)، و(سلامة) هو اسم عمّي المُتوفّى في عُمرٍ صغيرٍ، وقد كانَتْ له قصةُ بطولةٍ قد رواها لنا جدّي بلا كللٍ، فهو كان من فرسان العشيرة، وكان من فعاليّات فرحتهم بقدوم العيد في تلك الفترات، أن يعقدوا سباقًا للخيل لشباب القبيلة، ومن يفوزُ يكون هو البطل أو الشيخ، أو لا أدري، ربّما يكون رمزًا للقوة، أو الشابَّ المثاليَّ ربّما!

فكانَ في السّباقِ عمّي سلامة، وكان شابًا ذا طبعٍ يتّسم بالقوة والتحدّي، ومقابله كان شابًا ذا طابعٍ أنانيّ، يغار ممّن ينافسه، ويريد أن يكون الفوزُ من نصيبه كما قالوا. عندما انتهى السِّباقُ كان أولُ الواصلينَ هو عمّي البطل (الكهرمان كما يقول الأتراك)، ذلك الشابّ المنافس لعمّي، أعمَتْ عينيه الغيرةُ، وترصّد لطريق عمّي الذي كان يتيمَ الأمّ، وكان يعيش في بيت عمّه، أرسلته إحدى زوجات عمّه ليُقايضَ اللَّبَنَ بالجميد، والبيضَ بالشاي والسكر من سوق الخليل، وكان يمُرّ من أحراش الخليل، فجاءته طعنةٌ في ظهره، قضَتْ على حياته، وذكروا أنّ جدّي كان كلَّ ليلهِ يضع (شِبريّته) عند رأس القاتل؛ ليقولَ له: إنَّ موتك بيدي.

تلك القصةُ جعلتني أحلمُ بأنَّ عمّي البطل هو أبي، وعندما نادتني معلّمتي باسمه، ذهبتُ إلى البيت غاضبةً من أهلي، وأقول لهم: إنّي بنتُ عمّي سلامة، ولستُ بنتَكم. وعقدت النيّة على الهرب، ولأنَّ بيتنا وطريق المدرسة بقرب سكّة الحديد، مرّ قطار يحمل رحلةً لطلاب مدرسة، فراودتني نفسي أن أختلط بين الطلاب، وأركب ذلك القطار، فنزعتُ لباسَ مدرستي عنّي، وصففتُ في طابورهم، عندها رآني ابنُ

جارنا المُزعج، الذي كان في صفّي أيضاً، اسمه أيمن، وهو كان أول المعجبين بي، ولكنّي كنتُ أراه ككتلة الدم المتجمّد، لا أحب أن أراه.

صرخ ذلك المزعج بأنّهُ سوف يخبر أهلي أنّي سأركب في ذلك القطار، وأخبر المعلّمة القائمة على الرحلةِ بأنّي لستُ معهم. بكيتُ يومها بشدّةٍ؛ لأنَّ القطار فاتني، وذلك كان أولَ قطارٍ يفوتني إن صحَّ المجاز.

عندما كبرتُ قليلاً، أصبحت أقرأ روايات ذات طابع رومانسيّ، كانت البطلةُ دائماً في خندقِ الضَّعفِ، تتزوّج ذلك البطل ضمن سيناريو مؤلم، فتكونُ مُجبَرةً على القبول، ولكن لا تنتهي هذه القصة إلّا بحريقٍ يلتهبُ عشقًا في قلبيهما، وتلك المشاعر المتدرّجة ضمن تفاصيل حياتها، قد رسخت في مُخيّلتي، فأصبحتُ أتخيّلُ فارس أحلامي ضمن إطار تلك الروايات، عندما أسمع قصصَ الحبّ لبنات جيلي، كنتُ كثيرةَ السُّخريةِ منها؛ لأنّها بسيطةٌ متواضعةٌ، ذاتُ قالب نمطيّ، فعشتُ أعواماً طِوالاً بخيال فارسي البعيد.

في تلك الأثناء، كنتُ قد انعزلتُ فكريّاً عن محيطي العائليّ؛ لأنَّ القارئ فيه نزعةُ استعلاء، ربما لاطّلاع القارئ على فكر عدة علماء وكتّاب، فمُحصّلتُهُ المعرفيّةُ زاخرةٌ بالمواقف والتفاصيل، والتحليل والمفردات الباعثة في المعاني الروح.

كانت أمّي – رحمها الله – ذاتَ فكرٍ مجتمعيّ نمطيّ، جُلّ همّها أن تسترَ بناتِها ببيت أزواجهن، كما تقول، فكانت تتحسّر عليَّ كثيراً؛ لأنّي ذات طول قصير، ووجهي ليس بجميلٍ بمقاييس المجتمع، وقَوامي ممتلئ، أذكر يومًا سمعتُها تقول لجارتنا المُقرّبة لها: «شوفي ابتسام واللهِ إنّها أبيض من كنتي». تلك المقارنة كانت لإقناع نفسها بأنَّ هناك أملاً بألّا يفوتني القطار.

تلك المرايا الضبابيّة في عيون من حولنا، تنعكس على أرواحنا، نتبنّى ذلك الانعكاس بنكسات روحيّة، تراكمات نعايشها في كلّ يوم، وكأنّها كابوسٌ ينقضُّ على أحلامنا القديمة.

لوحة الفنان: سرور علواني/ سورية

- النّماذجُ البشريّةُ في مجموعة (صَلْصال) القصصيّة لهشام مقدادي ..... خولة شخاترة
- «بروكا» تتبعُ الحكاية في البلاد البعيدة ..... عزة سلطان
- أهمّيّةُ تفعيلِ المكتباتِ العامّةِ للحدّ من «هجرةِ» القراءةِ الورقيّة ..... ديما الرجبي
- صورة «البترا» وتجلّيات المكان في رواية «نفرتاري الرقيم» للكاتبة صفاء الحطاب ..... مُحَمّد دَلْكي
- أيّها الشّباب تريّثوا قليلاً - وزارة الثقافة الأردنية/ مجلة صوت الجيل نموذجاً ..... رشاد رداد
- الأدباءُ الشّبابُ في العراق بينَ متاهات الحريّة وتعدّد الأيديولوجيا ..... د. سعد التميمي

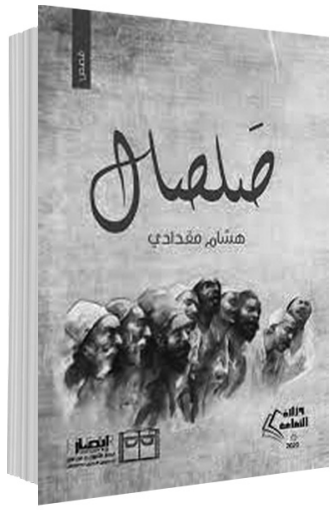

النّماذجُ البشريّةُ في مجموعة (صَلْصال) القصصيّة لهشام مقدادي

خولة شخاترة

عندي رغبةٌ في الكتابة عن مجموعة (صَلْصال) القصصيّة لهشام مقدادي، لكنّها تأخّرت، والسؤال: لماذا هشام مقدادي؟

عُرِفَ هشام مقدادي بالثّقافة والاطلاع الواسع قبل دخوله الجامعة، وأجزِمُ أنَّهُ كان قارئاً أكثرَ بكثير من بعض الأساتذة، وكان ناشطاً ثقافيّاً على مستوى إربد، من خلال التزامه مع ملتقى شرفات، الذي كان يُقيم نشاطاته بالتعاون مع مؤسّسات المجتمع المحلّيّ: جامعة جدارا مثلاً، اتّحاد المرأة، سرايا إربد، رابطة الكُتّاب (فرع إربد)، وأحياناً بالتعاون مع شباب إربد للعمل التطوعيّ، وغيرها من المؤسّسات التي تُعنى بالثقافة، وقد أُتيحَتْ لي فرصةُ المشاركة في هذه النشاطات وغيرها، مثل المؤتمر الذي تُقيمه وزارة الثقافة بالتعاون مع جامعة اليرموك، أو مركز شرفات للعولمة والإرهاب.

لكنَّ هذا لم يمنعه من رفد ثقافته وموهبته بالعلم، ومتابعة الدراسة الأكاديميّة، وقريباً سيحصل على الدكتوراة، مع أنَّه ابنُ قريةٍ داخليّةٍ، ومواصلاتها لم تكن سهلةً، فهو ابنُ (بيت إيدس) الملاك الحارس لغابات برقش، لكنّهُ يعرف ما يريد، ولديه التّصميم والعزيمة على تحقيق حلمه وطموحه، وخلال هذه المدّة كان يعمل ويدرس.

بدأ نجم هشام يظهر حينَ فاز بجائزةٍ أجرتها محطّة الـ(بي بي سي)، ثم جائزة سواليف، ثم تَـوّجَ هذا بالإرادة الملكيّة حين فاز بجائزة الدولة التشجيعيّة عن مجموعته القصصيّة (صلصال).

المجموعةُ القِصصيّةُ (صَلْصال)

تَضُمُّ هذه المجموعةُ 17 (سبعَ عشرةَ قصةً)، متفاوتةً من حيثُ الطولُ والقصرُ، والزمانُ والمكانُ، والبيئاتُ الاجتماعيّةُ والثقافيّةُ والدينيّةُ.

يمكن القولُ إنَّ قصة (صَلْصال) وترتيبها الثاني في المجموعة، والتي تحمل العنوان ذاته، شكّلت محوراً تدور في فلكها القصة السابقة وبقية القصص، أو حلقة تتعالق فيها قصصُ المجموعة، فالصَّلْصالُ الذي يُذكِّرنا بالطين الذي تشكّلت منه أجسادنا البالية، تراكم فيه رُفاتُ أجسادٍ من أمم سابقة، وأزمان سحيقة، وضمّ بقايا أجساد مختلفة، يُعجَنُ بالماء بطريقةٍ خاصّةٍ، ومن ثَـمَّ يُعيد الصانعُ تشكيلَهُ بصبرٍ وأناةٍ، بالصورةِ التي يراها مناسبةً، وَوَفْقَ رؤيته الخاصة، بأشكالٍ يرضى عنها في النهاية، ويرضى عن نفسه أولاً وأخيراً.

هذه التفاصيلُ كلُّها الصَّلْصال، تُشعر الصّانعَ بالرّهبةِ والدّهشةِ معاً؛ لأنَّ الكيفيّةَ التي يُشكَّلُ بها الصَّلْصالُ تُذكِّره بلحظةِ خلقِ الإنسان.

وإذا علمنا أنَّ الصّانع في القصّة منشغلٌ بعالَم التّصوّف، أدركنا سرّ رهبته ودهشته، فكلُّ ما في الكون يُقرِّبُ المُتصوِّفَ من الذات الإلهيّة، فالكون يُعبِّرُ عن إرادتها، ولا تتحرّك إلّا وَفْقَ مشيئتها، يضاف إلى ما سبق، فإنَّ عالم التصوّف، وحركة الدراويش الدائريّة في الرقصة المولوية، تُحاكي بطريقةٍ أو بأخرى، حركةَ الطّين والدورانَ السريعَ من أجلِ تشكيلٍ أفضلَ للأواني الفَخّاريّة.

لهذا، فإنَّ تشكيل الصَّلْصال ليس غاية بحد ذاتها، إنّما تتجاوز التشكيل إلى المُكوّنات الكثيرة والمُتعدّدة، التي تناسل منها الخلق، فكان منها التنوّع الثقافيّ والاجتماعيّ والدينيّ، (تشكّلَتْ منه أعراقٌ وديانات وطوائفُ)، فكانت النماذجُ البشريّةُ الكثيرة التي تزخر بها المجموعة القصصيّة، والإلحاح على استخدام الماء في العجن والتشكيل، وغسل اليدين، وإعادة التأكيد على نعومة الشكل المصنوع باستخدام الماء، يُذكِّرنا بحضور الماء في القصص: ماء المطر الخلفيّة التي شكّلت قصّة قداس، حين أفاق الشابّ – الشخصيّة الرئيسيّة في

القصة – بعد الحادث الذي تعرّض له، فوجد نفسه في بيت كهلٍ ريفيّ، وفي لحظة الامتنان هذه، بعد أن أنقذه من الموت، شرع الكهلُ بالوضوء كي يُهيِّئ نفسَهُ للصلاة، في هذه اللحظة قام الشابّ دون وعيٍ منه، ودون تخطيطٍ، فتوضّأ مثل الكهل، لحظة التوحّد هذه، لحظة الانسجام والامتنان قرّبتهما من بعضهما بعضاً، وكلٌّ واحدٍ منهما يعلم أنَّ الآخر ليس من دينه.

وهناك إشاراتٌ كثيرةٌ إلى الماء الدالّ على الحياة والخصب والتطهّر، بمعنى آخر، ما يفعله هشام في أغلب القصص، شبيهٌ بما فعله الصانع الماهر والمتصوّف، الذي يُماهي بين عمله في تشكيل الصَّلْصال، وحركته في الرقصة المولوية، وحركة الطفل في بطن الأمّ، فيُعيد هشام تشكيل الواقع والحوار واللحظات التي يتوقّف عندها والمشاهد، والنماذج البشريّة التي تقوم بالحدث وتصنعه.

تنتمي هذه النماذجُ البشريّةُ التي تدور حولها القصص إلى الناس البسطاء: الفخّاريّ الصوفيّ، والمسيحيّ المُتديّن، والشيعيّ، لكنّه لا يكتب عن هؤلاء بشكلٍ سافرٍ، أو ما يشبه الدعاوى الطائفيّة أو السياسيّة، إنّما ينتقي مواقف محدّدة دالّة، مواقف إنسانيّة تظهر فيها إنسانيّتُنا، لكنّها تُذكِّرنا بالحريّة التي تُبعدنا عن الخضوع لتوجّهٍ ما أو لرأيٍ يُفرض.

ففي واحدةٍ من القصص تؤكّد الزوجة أنَّها سَتُسمّي ابنتهما فاطمة، ويوافقها على هذا، ويوصلها إلى الحسينيّة حيث تريد، لكن في لحظةٍ ما يقول: لِمَ لا نسمّيها عائشة؟ بعيداً عن التعصّب للطائفة أو المذهب، وإنّما كيلا يخضع لرأي واحد، ويمكن إعادة القراءة لهذه القصة من منظورٍ سياسيّ بحت – بعد مناقشة هذه القصة مع الكاتب – فالزوجةُ الشيعيّةُ تعلم ماذا تصنع، وتُخطِّط له، ولديها رؤية واضحة للمستقبل، في حين إنَّ الزوجَ السُّنّيّ يراوح مكانه، لا يملك رؤيةً يُمكن من خلالها الولوج إلى المستقبل، فالزوجة تسعى لتحديد اسم المولود، ولديها ارتباط وثيق بالحسينيّة، وتحرص على زيارتها، التي تُمثّل مصدراً معزّزاً لهُويّتها الدينيّة، وهي بذلك تُشكّلُ المشروعَ الشّيعيَّ في المنطقة.

بينما لا يظهر أيُّ ارتباطٍ معزّزٍ للزوج، وليس لديه نظرة مستقبليّة، ويكتفي حتى في لحظة الذروة بمصارعةِ هواجسِهِ دونَ أن يُشاركها ولو لمجرّد المشاركة مع زوجته، وهو بذلك يمثّل المشروعَ السُّنّيَّ المُتخبِّطَ في المنطقة، لكن هذه القراءة لا تظهر ضمن المستوى الأول للقراءة، إنّما يمكن الوصول إليها ضمن تأويل يُلمِّح إليه الكاتب.

وتظهرُ بقيّةُ النماذج من تونس، وحلب، وتركيا، وبيروت، وجنوب لبنان، فتظهر الفسيفساءُ التي تتكوّن منها مجتمعاتنا العربيّة، خاصة أنَّ الكاتب عاش مرحلةً في لبنان، وارتبط إنسانيّاً بنماذج مختلفة، وهذه الأخيرة ترتبط بوشائج مختلفة مع بقية البلدان العربيّة.

بالعودة مرّةً أخرى إلى تشكيل الصَّلْصال وقصة الخلق، فإنَّ أغلب القصص تدور حول الولادة والموت، خاصة في المجتمعات المشتعلة حرباً، كـ(بيروت، حلب... إلخ)، لكنَّ الحديث عن ولادة طفل، أو الرغبة بولادة طفل، أو انتظار طفل، والتلهّف لوجود طفل، بالتلميح أو التصريح، أو التوقّف عند مشهد يكشف عن هذه الرغبة، كلُّ هذا طغى على هذه المجموعة.

إنَّ وصف التكوير والانتفاخ الذي نراهما في إبريق الفخّار، والخصر الذي يُحيط به، هذا الوصف يفيض ويتجلّى في ملامح النساء الحوامل اللواتي ينتظرْنَ طفلاً، أو الرجل في لحظة مجنونة حين يكون وحيداً، يُكوِّرُ الأقمشةَ ويضعها حول خصره، ويقول لنفسه: لِمَ لا يحبل الرجل؟ وحين تباغته زوجتُهُ في هذا المشهد في خلوته، تُشاركه الرّقصَ بهذا الشكل المُنتفخ، لكنّ غصّةً مُستترةً تسيطر عليهما؛ لأنّهما يعلمان صعوبة تحقّق الأمر.

ويشير أيضاً إلى التكوير والانتفاخ بلمحةٍ ما إلى ملامح النساء، وتضاريس أجسادهن، ومنها قصّة الخلق والتكوين، كلُّ هذا بلغة شعريّة خاصة مدهشة، فيها من المعجم التراثيّ ما فيها، لكنّها دالّةٌ على لحظاتٍ إنسانيّةٍ توحِّدنا، على الرغم من اختلاف الأماكن واللهجات والديانات.

«بروكا»
تتبعُ الحكاية في البلاد البعيدة

عزة سلطان

تكمنُ متعةُ القارئ في عثوره على حكاية، فهي الطاقة المغناطيسيّة الجاذبة لروح القارئ، وعقله، ووجدانه، إذا أفلتت الحكايةُ من يد الروائيّ فقد القارئَ، وسعيًا وراء جذب هذا القارئ، تتنوّع الحيل السرديّة والأحاجي.

في العمل الروائيّ «ص»، الصادر عن الدار التركيّة أكيول في 2019، لمؤلّفته الكاتبة الأردنيّة عهود عبد الكريم السرحان، نتلمّس مغامرةً ولعبةً تسعى الكاتبة لنسج عملها بإحكام، متماهيةً مع فكرة أنَّ الرواية أو السّرد، أشبه بلُعبةٍ مهما خطّطَ لها صانعها، تظلُّ لُعبةً على الراوي أن يحفظَ لنفسه فيها جزءًا من العفويّة والطزاجة.

فِخاخُ السَّرد

هل الرواية مجرّد حكاية؟

لا تقتصر الروايةُ على مفهوم الحكي، وإلّا أصبح الجميعُ روائيين، فالروايةُ عدة عوالم متشابكة، تنهلُ من فنون الشِّعر، وتتناص مع المسرح والحياة، ولذا كانت الرواية عملًا ليس سهلًا على الإطلاق، محفوفاً بالمخاطر، ومليئاً بالفخاخ.

بعضُ تلك الفِخاخ السّرديّةُ، ينسجُها الروائيّ بوعي، وربما بدون قصد، في الحالتين هناك مشكلة، فإذا كان الروائيُّ واعياً لما ينصبه من فِخاخ، فهو بصدد كشفها رويدًا، مستخدمًا مهاراته وما يملكه من أدوات، وقد تَفْلِتُ منه أداةٌ، أو يصعب على الروائيّ تجاوز فخّ صنعه.

الفَخّ الأول: اللّعنة

صنعت عهود السرحان فخّها الأول، متمثّلًا في لعنةٍ يتمّ تناقلها؛ حتى تضمنَ إلزاميّة بقاء العائلة بأكملها في الجبل موطن الراوي وأرض المعركة في ما بعد، يأتي ذكرُ اللّعنة حين يطلب أحدُ أفراد العائلة مغادرة المكان، فيسردُ الراوي عن اللعنة:

« كانت هذه اللعنةُ التي تداولتها الألسنُ منذ سنين، بأنَّ من يخرج من الجبل، سيلحقه الموت أينما يذهب، وبأنَّ كُلَّ مصائب الدنيا ستحِلُّ على رأسه. كانت هذه الأقاويلُ تُجدي نفعاً، وتُسبّب لي كوابيسَ لا متناهيه، حيثُ أرى نفسي خارج الجبل مُلاحَقاً دون أن أرى مَنِ الّذي يُلاحقني. لكنّني أشعر بأنفاسي بعد أن أستيقظَ وهي تكاد تنقطع، كأنّني ركضتُ لأميالٍ، وعندما أرى جدران المنزل، أكون مُمتنّاً بأنّني لم أخرج من الجبل. (ص 16)»

أمّا ناصر المُتمرّد، فيقول بصراحةٍ دون مراوغة:

«أريد أن أغادرَ المنزلَ، والبَدْءَ في مكان آخر، أريدُ أن أكونَ حُرًا في حياتي». (ص 16)

هذا التّضادّ الواضح والعميق بين سكن الجبال والإحساس بالقيد، كيف يسكن أحدهم الأعالي حيثُ التحليقُ والحريّةُ، يحكي كبير العائلة اللعنة، ويحكي الابن الصغير عن القيد.

الفَخّ الثاني: السُّلطةُ الأبويّة

تتبدّى السلطة الأبويّة ليست فقط في إطلاق اللعنة وعدم مناقشة الفكرة، ولكن في ردّ الأب/ العم المؤسّس للحياة فوق الجبل، حين يُفاجئه ابنُ أخيه المُتمرّد ويطلب الرحيل، فيردّ العمّ بعنف:

«لا مكان لك سوى هذه الأرض، ستموت إن خرجت منها.. ستتبعك لعناتي طوال العمر».

ولا يناقش، لكنّه يهدّد باللعنة، ويصمت، ولا أحد يتكلّم أو يعترض، وسرعان ما يتعرّض للموت، فهل في ذلك إشارة لزوال السلطة الأبويّة واللّعنة معًا؟

إنَّها تساؤلاتٌ خفيّةٌ، طرح البطلُ سؤاله عن اللعنة، هل كانت في سكن الجبال أم في مغادرة ابن العم؟ وقوبل عنفُ الأبِ وسلطته بعنفٍ آخرَ، فبهتت سلطته، وخفتت سطوته ووجوده.

تضعُ السّرحانُ فخاخَها الأوليّة في أول فصلين، فنجدُ اللعنةَ والقيدَ والسّلطةَ الأبويّةَ، وطفلاً أبكمَ تتبدّى طفولته وهو يراقب أطفالاً يلعبون. فهل أسئلة الكاتبة لتحريك الراكد بشأن ما تصنعه السّلطة الأبويّة من مخاوف سرعان ما ينكشف زيفها؟

الفَخّ الثالث: الراوي الذَّكَر

اختارت الروائيّةُ أن تحكيَ روايتَها على لسان ذَكَرٍ؛ نظرًا لما سيتعرّض له البطل من أحداث، وما يمكن أن يُغيّر مسار الأحداث تمامًا، وربما يهدِمُ البناء الروائيّ إذا كانت البطلةُ أنثى، هذا اختيارٌ مفهومٌ في إطار التصاعد الدراميّ، لكنّ تفاصيل الذَّكر أفلتت من بين يديها، فأن تختارَ الكاتبةُ أن يكون بطلها ذكراً، يتحتّم عليها استدعاء تفاصيل الذَّكر، فليس وعيُ القارئ أنَّ الراوي ذكرٌ كافياً.

هل جرَّبت القفز؟

يبدو القفزُ لُعبةً طفوليّةً شديدةَ البهجةِ لفاعلها، فهل تنجحُ كحيلةٍ سرديّةٍ؟

أربعٌ وعشرون سُلّمة تقفِزُ عبرَها عهود السرحان ببطلها الطفل رضا، مقدِّمةً نصًّا روائيًّا، يبدأ منطقُ القفزِ حيلةً سرديّةً، تستخدمها السرحان وهي تقسم عملَها الروائيَّ إلى أربع وعشرين قسمًا؛ لتبدوَ النصوصُ أشبه بقصص قصيرة، تتصل عبرَ الراوي، الذي هو نفسُ الشخصِ «الفتى رضا»، فتلك الأقسامُ لا تعني فقط تقسيمًا على مستوى الحكاية، ولكنّها مُكافئةٌ للزمن الذي يتقدّم صاعدًا، ويختار رضا ما يحكيه بشكلٍ انتقائيّ، وفقًا لأهمّيّة الأحداث من وجهة نظر البطل.

تُجرّبُ عهود لُعبة السّرد، مُمسكةً بالأدوات الأكثر شيوعًا في البناء الروائيّ، تقبِضُ على لغة شاعريّة، وتضخُّها في مُفتتح كلّ قسم، فلا تكتفي أن تجعلَ لكلّ فصلٍ اسماً، بل تبدأ بجملة شعريّة:

«عودي أيّتُها السّماءُ للونك الأزرق

اهطِلي مطرًا كما السابق

عودي وأرجعيني طفلاً يعوم،

طفلاً يُلاطم الموج فلا يغرق». (ص 53)

«ظلّلْ عليّ

امنح الكونَ شجرة

أُولَدُ مِنْ رَحْمِها..» (ص91)

«كم مرّةٍ يتحوّل الموتُ لصديقٍ حميمٍ نشتاقُ عِناقَه». (67)

اختيار البطل

من هو البطل؟

من أصعب الأسئلة التي تواجه الروائيّ وهو يُعِدّ نصّه، اختارت عهود السرحان في عملها الروائيّ الأول، أن يكون بطلُها طفلاً، طفلاً أبكمَ جرّاءَ حادثةٍ، فتضمن له آذاناً تلتقط العالم، وعيوناً تُعبِّئ الحكاية، طفلاً يخزِّن فقط ولا يبوح؛ لتكونَ روايته هي نافذته الوحيدة للبوح، فهل أجادت السرحان الإمساك بطفولة البطل؟

في تجارب العمل الأول، لستَ مُطالباً أن تكون ماهرًا بقَدْرِ ما أنتَ مُطالبٌ أن تُطلق لموهبتك العِنان، فليسَتْ هناك بداياتٌ مكتملةٌ، وإلّا ما احتاج الإنسانُ إلى أن يُكمل المسير. اختيارُ طفلٍ ليكونَ البطلَ ليس بالسهولة التي قد نتخيّلها، رسمت الكاتبةُ سماتٍ تُحقّقُ لبطلها المهاراتِ المطلوبةَ للانتقال بالسرد من منطقة إلى أخرى، لكنَّ روح الطفل لم نتلمّسها إلّا في مشهد متابعته للعب (البي).

«أصابتني خيبةٌ لم تستمرّ عندما رأيت مجموعةً من الأطفال بالقرب منّا، يلعبون بأحجارٍ بلّوريّةٍ، ويركضون خلفها ليقفوا بالقرب منها، بانتظار الطفل الآخر الذي يمتلك أيضًا كرة بِلّوريّة تحمل ألواناً مختلفةً في جوفها. كانوا يتصيّدون بعضهم بعضاً، ويحملون الكرة بكلّ دقة في إصبعين، أحدهما يُطلق الكرة باتجاه الآخر. راقبتهم حتى شعرتُ بأنّني ألعب أيضًا. كنتُ أبتسمُ كلّما ابتسموا، وأضحك مع ضحكاتهم، وَدِدْتُ لو كنتُ معهم، أمنيةٌ لم تستمرّ لليوم التالي، لم أستطع الاكتفاء بمراقبتهم، أمسكتُ يدَ أبي، وما تزال عيني مثبّتةً عليهم؛ خوفَ أن تفقدَهم، وأشرتُ لوالدي بأنّني أريد ما بأيديهم». ص(26)

بينما جاءت التأكيدات على لسان البطل: «أنا رضا طفل.. الطفل المُدلّل.. طفل العشر سنوات». في مواضع عديدة بمثابة صراخ، ولا يعني بالضرورة أن يشعر القارئُ بأنَّ المتحدّث طفلٌ، فالإمساكُ بطفولة البطل بات أمرًا صعبًا، صحيحٌ أنَّ السرحان نجحت في رسم مواصفات البطل؛ لتجعلَ منه كاميرا ترصد وتنقل، لكنَّ ملامح طفولة البطل لم تكن على نفس درجة الوضوح كباقي التفاصيل.

وهكذا تُتابعُ الكاتبةُ نسج شطور نثريّة في مقدّمة كلّ فصل، وكأنَّها تصنع مقولة الفصل أو أمنيته، تكرار تقدمة كلّ فصل، بمثابة رهان على القارئ ومدى حماسه، فهذا الاختيار يُمكن أن يكون بمثابة استراحة للقارئ قبل أن يستكمل الحكاية التي اختارت عهود أن تجعلها متصاعدةً زمنيّاً، متقدّمة بمرور الصفحات، كما يمكن أيضاً أن تكون أداةً تُبعد القارئ عن استكمال العمل.

هي مغامرةٌ تخوضها الكاتبةُ في لُعبتِها السّرديّة، القارئ وحده مَنْ يحسِمُ نتيجتَها.

لا شكَّ أنَّ لُعبةَ السّردِ أقربُ للتجارب التي نكتشف في كلّ مرّةٍ منها جديداً، ونتمكّن من أدوات، ونمتلك مهارات، فكلُّ عملٍ هو أقرب للتجريب مهما كان السّردُ تقليديّاً، فالكاتبة الأردنيّة تكتب روايةً تدور في الجزائر، وفي هذا مغامرة، وليست مغامراتها الوحيدة، بل هي تنتقل من حياة الجبال لحياة الغجر واللصوص.

وقد سعت الكاتبةُ لتظليل كتابتها بلمحة شاعريّة وموسيقى الشعر، التي قد تغوي القارئَ نسبيّاً، ولكن لا شكّ أنَّ عملاً كهذا لكاتبةٍ شابّةٍ، هو مؤشّر على كاتبة تخطو بثقة وقوة نحو إتقان أدواتها، وبناء عوالم أكثر جاذبيّة في الأعمال القادمة.

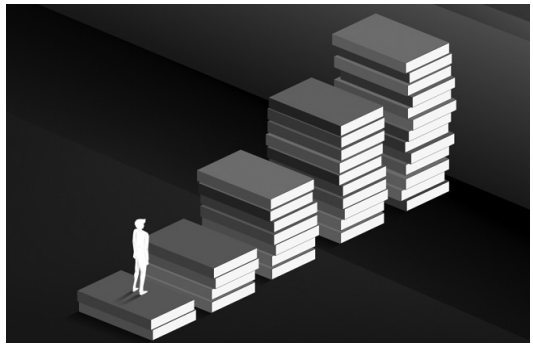

أهمّيّةُ تفعيلِ المكتباتِ العامّةِ للحدّ من «هجرةِ» القراءةِ الورقيّة

ديما الرجبي

تُعرَفُ المكتباتُ العامّةُ بأنّها مؤسّسات حكوميّة تعليميّة وثقافيّة غير ربحيّة، تُغطّى جميع نفقاتها من الميزانيّة العامة للدولة، أُنشئت بهدف خدمة الجمهور مجاناً لقراءة الكتب أو استعارتها.

وبالرغم من أنَّ هذه المكتبات متاحةٌ لجميع المواطنين في شتّى دول العالم، إلّا أنَّ الثقافة الورقيّة تشهد تراجعاً ملحوظاً؛ بسبب هجرة المكتبات، وبالتالي التخلّي عن القراءة الورقيّة في وقت أصبحت القراءةُ الإلكترونيّةُ الأكثرَ رواجاً. وبالرغم من أنَّ القراءة الإلكترونيّة لها ميزاتها، فإنّها لا تُعتبر بديلاً عن الكتب الورقيّة، وهذا ما أثبتته عدة دراسات تؤكّد أهمّيّة الإبقاء على القراءة الورقيّة.

بينما يتّخذ العصر الحديث طابع الرقمنة، بدأ الباحثون بعمل دراسات للبحث في أسباب ميل الأطفال إلى القراءة الرقميّة، في ظلّ تأكيد علميّ يُشير إلى أنَّ الأطفال الصغار يتفاعلون بشكل أكبر مع آبائهم عندما يقرؤون الكتب المطبوعة، مقارنةً بالإصدارات الإلكترونيّة، كما أنَّ هناك خبراء ينصحون باستخدام النسخ الورقيّة للكتب بدلاً من الكمبيوتر اللوحيّ، ويشرحون أسباب ذلك عبر عدة دراسات قمنا بتجميعها لتحصيل معلومات أكثر دقة؛ لدفع الآباء إلى الاستغناء عن الألواح الضوئيّة، وإعادة إحياء القراءة الورقيّة، نذكر من هذه الدراسات:

في دراسة قامت بها جامعة كامبريدج، سلّطت الضوء على ارتفاع عدد الأمريكيين الذين يقرؤون الكتب الإلكترونيّة من (17%) إلى (28%)، خلال الفترة من 2011 إلى 2014، مقارنةً مع الكتب المطبوعة، بعد تحليل الأسباب وجد الباحثون في الجامعة أنَّ السبب ربما يعود إلى سعرها الزهيد، وإمكانيّة تخزين الكثير من الكتب عليها، بعكس الكتب الورقيّة، كما يذكر مركز بيو الأمريكي للأبحاث.

ومع ذلك تشير بعض الدراسات الأمريكيّة المُتخصّصة، نذكر منها دراسة أجرتها جامعة نيويورك الأمريكيّة عام 2013، تحت عنوان «اقلبِ الصَّفحةَ لتعرفَ مصيرَ القراءة الورقيّة»، إلى أنَّ الصحافة الإلكترونيّة لن تلغي المطبوعة.

وآخرها دراسة أمريكيّة بمستشفى جامعة ميشيغان للأطفال عام 2016، التي أكّدت أنَّ استخدام الكتب المطبوعة ما يزال هو المفضّل لترغيب الأطفال في القراءة، وزيادة تفاعلهم مع الآباء.

كما أظهرت دراسة أخرى أُجريت في إيطاليا عام 2014، تحت عنوان «قياس تأثير الألواح الإلكترونيّة على الأطفال»، شملت أطفالاً (أعمارهم ما بين الثالثة والخامسة)، أنَّ استيعاب الأطفال أثناء قراءة الوالدين عليهم القصص من كتاب إلكترونيّ، يكون منخفضًا مقارنةً مع لو كان ذلك الكتاب كتابًا ورقيًّا.

ويعتقد الباحثون لذات الدراسة أنَّ هذا ينشأ بسبب تشتيت الجهاز الإلكتروني لانتباه الأطفال، فيواجهون حينها صعوبة في التركيز على القصة نفسها. وفي دراسة استقصائيّة أمريكيّة أخرى، وُجد أنَّ الطلاب الذين يقرؤون القصة القصيرة عبر قارئ إلكترونيّ، كانوا أقلّ تفاعلاً، وأقلّ قدرةً على تذكّر ترتيب الأحداث وتسلسلها بدقة، وأكدت ذات الدراسة الاستقصائيّة التي طُبِّقت على بعض الطلبة من 42 دولة، أنَّ الدرجات الأعلى من نصيب الطلاب الذين يمتلكون مكتبة منزليّة.

ويؤكّد الباحثون المختصّون في تحفيز القراءة الورقيّة، أنّه ليس مهمّاً عدد الكتب التي تمتلكها، ولكنّ المهمّ هو أنَّ كلّ كتاب جديد يدخل مكتبتك، يساعد أطفالك على إحراز درجات عالية في المدرسة، ويعتقد الباحثون أنَّ السبب وراء هذه الدرجات العالية يعود إلى امتلاك الكتب في المنزل؛ لأنَّ هذه الكتب تُشجّع الأطفال على القراءة، وتُحفّزهم للتحدّث مع والديهم حول ما قرأوه وتعلّموه، وهذا تحديداً هو الذي يساعدهم ويدعمهم داخل الصف الدراسيّ.

وفي ظلّ الجدل الحاصل بين واقع الحياة الرقميّ، وبين أسس الثقافة والتعليم، نجد أنَّ أصل المعضلة تقع على عاتق الأُسَر التي استجابت للتطوّرات الحاصلة في العالم من تسارع تكنولوجيّ، واعتبرت القراءة الورقيّة من الأمور القابلة للتغيير بحُكم كلّ ما هو جديد، ولكي نكون واقعيين في التعاطي مع شكل الحياة الجديد، يجب تغليب الأصل على المبتكر، حيث إنَّ جودة الكتب وعمرها الزمنيّ أفضل بـ(100%) عن الكتاب الرقميّ الذي قد يتعرّض لظروف إلكترونيّة تُتلفه بكبسة زر إن صحّ التعبير.

كما أظهرت إحدى الدراسات الحديثة لطلاب الجامعات في الولايات المتحدة وسلوفاكيا واليابان وألمانيا، أنَّ (92%)من المشاركين يُفضّلون الكتب الورقيّة التي يُمكنهم حملها ولمسها وتصفّحها متى ما أرادوا ذلك. وأشار الطّلّاب إلى (عوامل تشتيت أقلّ)، و(إجهاد أقلّ للعين)، كسببين رئيسين من أسباب تفضيلهم الموادّ المطبوعة، مع وجود بعض التفسيرات الأخرى المرتبطة بمشاعرهم تجاه الورق نفسه.

وقال الطّلّاب السلوفاكيّون على وجه الخصوص، إنّهم يستمتعون برائحة الكتب، وهذا صحيح، فقد وجد العلماء الذين حلّلوا التركيب الكيميائيّ للكتب القديمة، أنَّ الصفحات تحتوي على إشارات للفانيليا (من مادة اللجنين، وهي مكوّن مشابه للرائحة الموجودة في الورق)، وبهذا المعنى فإنَّ شمَّ ورقةٍ من كتاب قديم يُعادل الشّعور بالمتعة التي يجدها البعض أثناء شمّ بعض العطور أو الزهور.

وأكّدت هذه الدراسةُ أنَّ باستطاعة الكتب إسعادنا، وتحسين رحلاتنا، وتشجيعنا على اتخاذ قرارات تغيّر حياتنا، لذلك يجب إشراك أبنائنا في هذه الحياة القائمة غير البائدة؛ لقضاء كلّ دقيقة إضافيّة في المكتبة، مع إمكانية استخدام القارئ الضوئيّ دون تهميش الأساس، وهو «الورقيّ».

تزرع القراءةُ في نفوس الأفراد ثقافةً مساندةً للدور الأكاديميّ، وتتّجه بهم إلى النضوج الفكريّ، بعيداً عن الواجبات المدرسيّة التي تقتصر للأسف على تفريغ المعلومة عند الاختبار، ولذلك تُعتبر «المكتبة» من أهمّ الوسائل التي تساعد على تزويد الطفل بالمعلومات والمهارات، والاستخدام الجيّد والفعّال للمكتبات، والرغبة في القراءة تتوقّف على أول مكتبة يقابلها الفرد في حياته.

ولأنَّ هذا العصر فرض على أبنائنا السرعة، وما تحملها من تطبيقات إلكترونيّة، نجد أنَّ أغلب البيوتات أصبحت خالية من المكتبات، وقليلة هي التي تحتفظ بهذا الشكل الذي أصبح يحمل صبغة «تقليديّة»، ولأنَّ الأسرة تُعَدّ أولى المفاهيم الثقافيّة للطفل، يقع على عاتقها توفير ما أمكن من الكتب، وإحاطتها بالمنزل، ولو كانت على شكل «رفوف» مُتفرّقة تحمل «مجلّات»، حيث إنَّ غرس المفاهيم الثقافيّة لأبنائنا ضرورة للمساعدة في بناء الشّقّ الثقافيّ الذي سينعكس على شخصياتهم وقراراتهم مستقبلاً.

لا تخفى على أيّ أسرةٍ أهميّةُ القراءة من الكتاب الورقيّ، وبما أنَّ التوجّه الرقميّ يُقلّص حجم الاهتمام بهذا الشأن، يجب أن نوازن بين القراءة الرقميّة والورقيّة كيلا تندثر الكتب التي هي أساس العلم بمختلف مجالاته، ولا بدّ أن نذكر الفروقات بين النوعين، القراءة الرقميّة تُشتّت الذهن؛ نظراً لقدرة الطفل على الانتقال إلى أيّ مادةٍ يرغب في مشاهدتها بعيداً عن أعين الوالدين، وإذا كان أحد الوالدين شريكاً في قراءة القصة لأبنائه، فسيصبح الطفل «مستمعاً» دون الاستفادة من القراءة التي هي أصل المنفعة من الكتاب.

ويعاني أبناؤنا من غزوٍ للغة العربيّة وتغريبها؛ وذلك بسبب القراءة الرقميّة التي وجّهت اهتماماتهم لأنواع القصص السريعة، ذات اللهجة المحكيّة أو المختلطة باللغة الإنجليزيّة، وهو ما يُعتبر خطراً يُهدّد هُويّتهم العربيّة الفصحى، بينما الكتاب مهما كان نوعُ القصة تسليةً، أم علميّةً، أم خياليّةً، أم دينيّةً، تحتفظ بقوام اللغة الصحيحة، وتُتيح فرصةً لأبنائنا بالتعرّف على مفردات جديدة لإثراء مخزونهم الفكريّ، الذي أصبح يقتصر على ما يسمّى «عربيزي»، وهي لغة هجينة تمّ زجّ أرقام اللغة الإنجليزيّة فيها بديلاً عن الحروف العربيّة.

هناك أدوار موزّعة على الجميع للحفاظ على الموروث الثقافيّ الأصيل، ومنح أبنائنا فرصة التعرّف عليه، وتتوزّع هذه الأدوار – كما ذكرنا بدايةً – على الأُسرة، ومن ثم تنتقل إلى المؤسّسة التعليميّة التي تتحمّل مسؤوليةَ إبراز أهميّة الكتاب للطلبة من مختلف الأعمار، من خلال تخصيص مكتبة في كلّ مدرسة، وتفعيل أنشطتها اللامنهجيّة، وتنظيم مسابقات لتحفيزهم على ولوج المكتبة، والتعرّف على ذائقتهم الأدبيّة، والأهمّ توفير التنوّع في القصص لتراعي اختلاف الأذواق بينهم.

يجبُ أن يدرك الأهالي أنّه عندما يكون الطفل ماهراً ومُتمكّناً من القراءة، وهو في سنّ صغيرة، فهذا يُعَدّ عاملاً لا يتجزَّأ من نجاحه في المستقبل، كما أنَّ القراءة للأطفال ليست مجرّد هواية فقط، بل هي بوّابة واسعة جداً للتعرّف على الأشخاص والأماكن وغيرها الكثير، وتُساعد على التطور الذهنيّ والسلوكيّ المتّزن.

وفي كلّ دولة توجد مجموعةٌ كبيرةٌ من المكتبات العامة، التي تستقبل أبناءها في كلّ الأوقات، ولا يكلّف اشتراكها إلّا مبلغاً رمزيّاً، كما أنَّ الاستعارةَ متاحةٌ لديهم، والمكتبات الخاصة ببيع كتب الأطفال واليافعين كثيرة جداً، وأسعارها تتفاوت وتناسب جميع الإمكانيّات الماليّة.

يجب إحاطة أبنائنا بمفاهيم تطغى على اهتماماتهم الإلكترونيّة؛ لخلق ثقافة متكاملة ما بين القديم والمعاصر، وعلى رأسها المكتبات، لذلك نتمنّى أن يُعاد ترتيب أولويات مهارات أبنائنا، وألّا تقتصر على المهارات الرياضيّة أو الإلكترونيّة فقط، وزجّ ما أمكن من الثقافة الأصيلة في عقولهم؛ ليكون الحصادُ مثمراً للجميع.

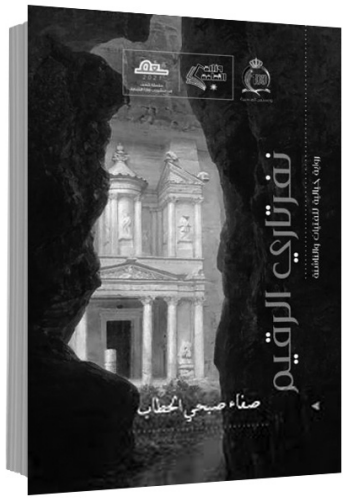

صورة «البترا» وتجلّيات المكان في رواية «نفرتاري الرقيم» للكاتبة صفاء الحطاب

مُحَمّد دَلْكي

يلعب المكان دورًا حيويًا في الرواية، فهو البُعد الذي يسمح للأحداث بالتجسُّد والتحرّك، البعد الذي يخلُقُ الإطار العام الذي تجري فيه المغامرات والتفاعلات، إنّه كالمسرح الذي يستضيف الشخصيّات، ويتيح لها التفاعل والتواصل، ويبني علاقتها من الداخل.

ويتجلّى المكان أيضًا في تفاصيله الوصفيّة والجغرافيّة، ويعكس جوًّا وجوهرًا فريدًا يلائم الأحداث والمشاعر، وإذا ما قمنا بعزل المكان عن الرواية، فإنَّ الأحداث ستفقد جاذبيّتها ومعناها العميق، حيث إنَّ الشخصيّات ستتشتّت، وستختفي في جوٍّ من عدم الحضور، وسيفقد القارئ – كذلك – الارتباط الجوهريّ الذي يجعله يعيش التجربة الروائيّة.

وبناءً على ما سبق، فإنّه لا يمكن تجاوز الأهميّة البالغة للمكان في الرواية، ولا يمكن تجاهله عنصرًا رئيسيًّا يُشكّل جوهر الأحداث، ويعزّز تجربة القراءة، فالمكان في «البِنية الروائيّة لا يعني الجغرافيا أو المكان الموضوعيّ فحسب، إنّه مسرحٌ للأحداث، متجزِّئ ومنقسم ومتعدّد في آن، ومصوغ من الكلمات، إنّه ليس المكان ذاته، بقدر ما هو معاودة لتشكيله وفق رؤيا الكاتب وإحساسه».

والمكان في هذه الرواية «نفرتاري الرقيم» للكاتبة صفاء حطاب، بارز الحضور، فاعل ومنفعل فيه في آنٍ، إذ يتجلّى تجلّيًا بارزًا باعتباره عنصرًا حيويًّا ومؤثّرًا في تطوّر حبكة الرواية من جهة، وتشكيل الشخصيات من جهة أخرى، إنّنا نرى المكان – هنا – وهو يتفاعل مع الأحداث والشخصيّات بطريقة تمنحه حضورًا فعّالًا ومنفعلاً في آن واحد، يؤكد شارل غريفال أهميّة المكان في الرواية، حيث يقول: «المكان في الرواية هو خديم الدراما، فالإشارة إلى المكان تدلّ على أنّه قد جرى أو سيجري فيه شيءٌ ما». فمجرّد الإشارة إلى المكان – إذن – كافية لتجعلنا ننتظر قيام حدث ما، وكفيلة بإيقاظ توقعاتنا بنشوء أحداث هامّة.

ويظهر هذا التأثّر والتأثير المتبادلان بين المكان والشخصيّات في توالي الأحداث، حيث يعكس المكان واقعيّة الفضاء الروائيّ، ويضفي على القصة حيويّةً لا تضاهى، ويضيف غريفال أيضًا: «لا يوجد مكان غير متورط في الحدث». فالمكان هو جزء لا يتجزّأ من سير الأحداث وتطورها، وهذا يؤكّد أنَّ المكان يُعَدّ عنصرًا أساسيًّا لا يمكن تجاهله في أيّ عمل روائيّ.

تبدأ الرواية بوصول الأميرة النبطيّة المُبجّلة «نفرتاري»، في قافلة نبطيّة فارهة قادمة من مدينة «الحِجْر» (مدائن صالح)، إلى مدينة «الرَّقيم» (البترا)؛ طلبًا للشفاء وهي مكسورة الفؤاد، ثم تنتقل إلى دار الضيافة في «البيضاء» من أجل «دار الاستشفاء»، وهناك تدور رحى الأحداث، ويبدأ الفضاء الروائيّ بالتنقّل في أرجاء «الرقيم» (البترا)، التي تُمثّل الفضاءَ المكانيَّ للرواية، وتؤسّس الرواية للمكان، بل إنّها تسخّر كلّ إمكانيّاتها وعناصرها من شخوص وأحداث، ووصف وتقانات؛ لخدمة المكان وإبراز هُويّته.

فمنذ المشاهد الأولى للرواية، نجد المكان حاضراً، بل إنَّ الكاتبة لتفتح أرجاء المكان على حوار الحضارات، إذ تجعل الإيماءات الأولى باتجاه الحضارة الفرعونيّة، في إشارة واضحة إلى أنَّ الحضارة النبطيّة لا تقلّ شأناً عن الحضارة الفرعونيّة، بيد أنها لم تأخذ حقّها مثلها. يقول الراوي العليم: «دخلت الأميرة قصر الحاكم، ثم جلسَتْ تتأمّل المكان، «كيف يمكن أن يحتوي القصر على كلّ هذه القطع المصريّة؟»، تساءلت الأميرة في نفسها، لاحظ الحارث نظرتها، ابتسم وهو يقدّم لها كوباً من عصير العنب قائلاً: «هل أحببتِ رؤيةَ التماثيل والأوعية الرخاميّة والأكواب المصريّة؟ كان يودّ الحاكم تسلية الأميرة بالحديث عن مصر ورحلاته إلى هناك».

وبعد هذا التأسيس لقيمة المكان النبطيّ، ومقارنته بالحضارة الفرعونيّة، تأخذنا الكاتبة إلى أرجاء المكان لتبثّ فيه الروح من جديد، فـ«الأمكنة الفنّيّة تستأثر باللذة الجماليّة التي تعجز الأمكنة الواقعيّة عنها؛ لأنَّ الأمكنة الفنّيّة تختزل النشاط البشريّ الإبداعيّ، وتتّسم بالديمومة، وسهولة التواصل، فالمكان الفنّيّ مصدر لعلوم إنسانيّة مختلفة، وللأمكنة الفنّيّة طبيعة تخييليّة»، وهكذا يجتمع المكان الواقعيّ بالفنّيّ في نفرتاري الرقيم.

الوصف خادمًا للمكان

إنَّ الروائيّ – عموماً – يصف المكان ليضفي الحياة والواقعيّة على الأحداث والشخوص، بل إنَّ من أهمّ وظائف الوصف في البناء الروائيّ، الوظيفة الدلاليّة – إلى جانب الوظيفة الجماليّة – التي يبثّها في النّصّ، لكنّه – هنا – يضطلع بدور آخر، حيث يمثّل الجسر الذي تعبر إليه الكاتبة للحديث عن المكان ذاته، وتسليط الأضواء على مكنوناته.

يقول الراوي:» أحضرَ أحدُ الحرّاس النبطيين المكلّفين بحماية الأميرة والإشراف على تنقّلاتها، العربةَ التي سَتُقلّها إلى المكان الذي حدّده لهم الحاكم مسبقاً (السّيق الكبير) إلى مدخل مدينة الرقيم، والذي يتعرّج بين الجبال الشاهقة، ثم يتّسع في نهايته؛ ليجد الإنسان نفسه في مواجهة مباني المدينة الورديّة الرائعة، التي صمّمها المهندسون النبطيّون وفق حسابات فلكيّة معيّنة، تجعل اتجاهاتِها متناسبةً مع مقاومة برودة الشتاء وحرّ الصيف، والتي تشبه المباني الضخمة التي تركتها نفرتاري وراءها في مدينة الحِجر».

وفي موضعٍ آخرَ: «وقد كانت الغرفةُ دافئةً فعلاً بفعل قنوات الماء الساخن المتدفّق إلى المكان أسفل الغرفة... أحضرت المُعالِجةُ وعاءً مملوءًا بالطين الأسود، ومزجته بماء ساخن، ثم بدأت بوضعه على جسد الأميرة وهي تقول لها: «لقد أحضرنا هذا الطين من بحر الملح (البحر الميت)، إنَّ هذا الطين قادر على جعلك تسترخين تماما يا سيدتي!». ونلاحظ – طبعًا – في هذا النصّ الإشارات إلى التقدّم العلميّ والتكنولوجيّ في الشبكات المائيّة التي تنقل المياه وتُدفِّئ الغرف لدى الأنباط، والتقدّم العلاجيّ الطبيعيّ في ما يسمّى اليوم بالطبّ البديل، في محاولة للكشف عن المكان وإمكانيّاته.

الشّخصيّات خادمة للمكان

إنَّ الشخصيّات في وظيفتها الفنّيّة تُمثّل الوقود الذي يُفعّلُ عناصر السّرد، أمّا من الناحية الموضوعاتيّة، فإنَّها أداة الروائيّ التي تُعبّر عن وجهة نظره، أو هي الأداة التي ينقل بها أفكاره، لكنّها – هنا – تتجاوز ذلك لتتمحور حول المكان، ويظهر ذلك في غير موضع في الرواية، مثل: «انتبهت الأميرةُ إلى القطع المعدنيّة المُثبّتة في نقاط معيّنة من السيق، وانبهرت برؤية النجومِ منعكسةً عليها، ثم رفعت رأسها إلى السماء لترى منظر النجوم البديعة تتلألأ، وتشِعّ نورًا قويًّا يُنير عتمة الليل، فاكتمل المشهد الذي كان يودّ الحارث أن تراه نفرتاري: السماء منعكسة على الأرض».

وقد اتّكأت الكاتبةُ في مواضع كثيرة على الشخصيّات؛ لكي تظهر خصائص المكان، وتقدّم وصفه وتشير إلى فرادته، يقول الروائي هنري ميتران (H .Mitterrand): «المكان هو الذي يؤسّس الحكي؛ لأنّه يجعل القصة المُتخيَّلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة»، إذ إنّه يُحرّك الشخصيّات ويحثّها للقيام بالحدث.

الحوارُ خادمٌ للمكان

ومع أنَّ الحوار قد جاء في الرواية رشيقًا، ومع أنه قد أدّى دورًا كبيرًا في تنمية الدور الدراميّ في الرواية، إلّا أنّه قد تجاوز ذلك ليكون – أيضاً – خديمًا للمكان الذي شَكّلَ المرجعيّة التي تدور في فلكها عناصر السّرد الروائيّ، فمثلًا عندما دخلت الخادمة على الأميرة لتُخبرَها عن العاصفة المتوقَّعة، قالت نفرتاري متعجّبة: «وكيف يتوقّعون ذلك قبل حدوثه؟»، ردّت المُعالِجة النّبطيّة: «يمكنهم التنبّؤ بذلك اعتمادًا على حساب سرعة وكمية الماء المنسكب بفعل الرياح الشماليّة من أحواض المبنى الحجريّة المُخصّصة لقياس ذلك، فيُطلقون إشارة الإنذار عند توقّع الفيضانات؛ ليبتعد جميع الناس عن مجاري الوديان، حتى تنتهيَ العاصفة».

ونرى من خلال المثال السابق كيف استطاع الحوار بين الشخصيّات أن يؤدّي وظيفته في إبراز المكان النبطيّ، ويُسلّط الضّوء على إمكانيّاته.

وفي موضعٍ حواريٍّ آخرَ أيضًا: «أكمل الحارث: هل أعجبتك هديتي؟ نفرتاري: شكرًا لك، طبق جميل! الحارث متحمّسًا: طبق؟ إنَّها البوصلة الوردة النّبطيّة! ألم تسمعي بها من قبل؟ كلّ البحّارة في العالم يحتاجون إليها لمعرفة الاتجاهات، هل تذكرين السِّيق الكبير والألواح العاكسة للنجوم؟ ذلك هو المكان الذي راقب منه الأنباط السماء، واستطاعوا أن يصنعوا بوصلة الوردة، إنَّها فخر مملكة الأنباط، فلا إبحارَ آمنٌ في كلّ بحار العالم دون بوصلة الأنباط!». فالمكان – في هذه الرواية – يغدو مُشعًّا ومِعطاءً.

أدبُ الرّسائل خادمٌ للمكان

كذلك عمدت الكاتبةُ إلى عدد من التّقانات السّرديّة التي تخلق الجوَّ العامَّ للرواية، ومنها استخدام تقانة الرسائل، ومع أنَّ الرسائل تُشكّل في أدبنا العربيّ نوعًا خاصًّا من الأدب، إلّا أنَّها قد جاءت هنا تقانة سرديّة وأداة روائيّة لخدمة المكان. جاء في متن الرواية: «ثم أكّد الملك في رسالته أهميّة تنفيذ

المهمّة بدقة، وعودة الأميرة سالمة إلى مدينة الحِجر قبل موسم الشتاء القادم، تزامنًا مع وصول قافلة البخور والتوابل القادمة من اليمن، ومعها القافلة النبطيّة القادمة من الرقيم، والتي تحمل مادة القار التي يبرَعُ الأنباط في استخراجها من بحر الملح، ثم تصديرها إلى بلدان مختلفة، إذ تستخدم فيها هذه المادة بكميات كبيرة للتحنيط ولتغليف السفن وعزلها عن الماء».

وكذلك عندما «عاد الرسول من عند الحارث، يحمل هديةً إلى نفرتاري، مصحوبةً باعتذارٍ خطّيّ مكتوب بالخط العربيّ... تأمّلَتْ نفرتاري الهدية، إنَّه طبق صغير مصنوع من الفخار، فيه رسومات ونقوش مميّزة تمتدّ من وسطه إلى أطرافه، مُشكِّلةً رسماً يشبه الوردة». ولكنه في الحقيقة كان يشير إلى أحد اختراعات المكان، ألا وهو البوصلة النبطيّة.

الحدثُ خادمٌ للمكان

إلى جانب ما سبق من عناصر السّرد الروائيّ التي قامت بتجلية المكان النّبطيّ، وتسليط الضّوء على ذلك المكان المخفيّ من الذاكرة الجمعيّة الإنسانيّة بعامّة، والعربيّة والأردنيّة بخاصّة، تتجلّى أحداث الرواية؛ لتؤدّيَ دورها في خدمة المكان، ونأخذ مثالًا على ذلك من آخر الرواية، فعندما يُقرِّر عبادة العظيم تزويج نفرتاري بالحارث، يغدو ذلك الزواجُ سبباً في البناء وتشييد المكان، «وصل المهندسون والبنّاؤون من مدينة الحجر بعد عدة أيام، يحملون أفكارًا ومخطّطات لتنفيذ ما تحلم به نفرتاري من تفاصيل بناء قصرها الجديد، كان بناء قصر خاصّ بابنة الملك النبطيّ عبادة العظيم مشروعًا نبطيًّا ضخمًا».

أمّا من جهة الحارث، فقد «بدأ الحارث بالتفكير في تفاصيل الزفاف الملكيّ الكبير، فقال لمساعده: أريد حفر مدرّج في تلّة مناسبة، يتّسع لخمسة آلاف شخص على الأقل، وأريد سكّ قطعة نقود خاصّة بالمناسبة السعيدة، تكون صورتي وصورة نفرتاري منقوشةً عليها».

حفر العُمّال النبطيّون المدرّج على «شكل نصف دائرة قطرها 95 مترًا، وارتفاعها 23 مترًا، وحفروا 45 صفًّا من المقاعد للمشاهدين، مُقسَّمةً أفقيًّا لثلاثة مستويات». وهكذا نرى كيف ساهم الحدثُ في الحديث عن المكان وشارك في بنائه، ونرى كيف تضافرت عناصر النصّ الروائيّ لبعث روح الأنباط، وبث الحياة من جديد في مدينتهم الورديّة.

وفي الختام، يتبيّن لنا أنَّ المكانَ – في هذه الرواية – أحدُ أهمّ العناصر الأساسيّة في البناء الروائيّ، حيث يلعب دورًا حيويًّا في إنشاء العالَم الخياليّ وتشكيل القصة، ويُسهم إسهامًا واضحًا في إثراء تجربة القارئ وتفاعله مع الأحداث والشخصيّات، إذ يساعد في توفير خلفيّة القصة وسياقها، ويقدّم للقارئ فهمًا أعمقَ للمكان النبطيّ الذي تتفيَّأه الشخصيّات، بالإضافة إلى أنّه يحدّد الزمان الذي ينتمي إليه الحدث، ويُعزّز التفاصيل التاريخيّة والثقافيّة التي تحيط بالقصة، ويسهم – كذلك – في خلق الجوّ المناسب للحدث لإيصال المشاعر للقرّاء، فهو متفاعل مع المجريات، يكون مشرقًا ومفعمًا بالحيويّة؛ لدعم الأحداث الرومانسيّة أو المبهجة، كما تجلّى ذلك في فصول الرواية.

ولقد لحظنا – إلى جانب ما سبق – أثرَ المكان في تطوّر الشخصيّات وسلوكها، ودوره في تشكيل البيئة التي تتفاعل فيها الشخصيّات، ممّا يُسهم في صياغة شخصيتها وتوجّهاتها، وبالمجمل، فقد استطاعت الأديبة صفاء الحطاب في روايتها «نفرتاري الرقيم» أن تكشف لنا خصائص المكان النبطيّ، وأن تتنقل في سرد قصة المكان ببراعة بين الماضي والحاضر، معلنةً عن ابتكارات واكتشافات نبطيّة يجهلها كثيرون.

إنَّ الحطاب لتُظهِر – عبر كتابتها الروائيّة هذه – عمق المعرفة النبطيّة، بدءًا بالحرف العربيّ، مرورًا ببوصلة الوردة النبطيّة والشراع المثلث، وانتهاءً بالتقويم الحجريّ السنويّ المشهور: بـ«الخزنة»؛ ليتجلّى التقدّم العلميّ والحضاريّ الذي حقّقته هذه الحضارة القديمة، ويبقى المكان خالدًا على الزمن.

أيّها الشّباب تريّثوا قليلاً

وزارة الثقافة الأردنية/ مجلة صوت الجيل نموذجاً

رشـــاد رداد

في الآونة الأخيرة بدأ الاهتمام جدّيّاً بفئة الشباب الموهوب والمبدع، وإنّني أُحيّي وزارة الثقافة الأردنيّة على هذا الاهتمام المدروس والطموح، بتشجيع الكتّاب الشباب، وتشجيع منجزاتهم ومبادراتهم. وهذا الاهتمام قد بدأ من رأس الدولة، إذ كان لسمو وليّ العهد الدور المحوريّ البنّاء في تشجيع الشباب، وخلق مبادرات تلبّي احتياجاتهم وتطلّعاتهم، ورغباتهم المشروعة.

وقد نجح الأردن في ذلك بعد إتاحة الفرصة لهؤلاء الشباب ودعمهم، والوقوف الى جانبهم ماديّاً ومعنويّاً ونفسيّاً، وقد عمدت كثيرٌ من المؤسّسات المدنيّة والحكوميّة على تخصيص جزء من نشاطاتها وبرامجها للشباب من وزارة الثقافة بأذرعها الكثيرة، وكذلك رابطة الكُتّاب الأردنيّين، والجامعات الحكوميّة والخاصّة، والمنتديات الثقافيّة المنتشرة في كلّ أنحاء المملكة، بالإضافة إلى الصحف الورقيّة والإلكترونيّة، وأظنّ أنَّ الثورة الإلكترونيّة الهائلة قد خدمت هذا الجيل خدمةً كبيرةً بكلّ يُسرٍ وسهولةٍ.

وإنّنا إذ نُشجّع مثل هذا التوجّه الحكوميّ وغير الحكوميّ في دعم أبنائنا الشباب، وهو توجّه محمود ومقدّر، وأظنّه ينسجم مع سياسة الدولة الواعية، وكلّ ذلك في نهاية الأمر سوف يصبّ في خدمة الجيل الذي نعوّل عليه كثيراً في مستقبل الدولة الأردنيّة.

وهؤلاء الشباب لديهم ما يُفرح ويُبهج، ولعمري كم كانت إدارة الدولة مصيبة في هذا التوجّه الحضاريّ والواعي في فتح قنوات وجسور ما بين هذه الفئة والدولة. ونحن الجيل الكهل الذي عانى وقاسى وظلم، ونحن نعايش هذا الجيل الذي أتيح له ما لم يُتَحْ لنا، ولا يعرف معاناتنا والصعوبات التي واجهناها إلّا الجيل الذي عايش وكابد في تلك الفترة بكلّ تفاصيلها المؤلمة، وأنا منهم ورئيس تحرير المجلّة، وبعض من يشارك في تحريرها.

وليت هذا الجيل يعرف مقدار البحبوحة التي هو فيها، وأعني هنا ثورة المعلومات والإنترنت، وسهولة الاتصال والنشر والقراءة عبر الإنترنت، والتواصل الاجتماعيّ، سواء من خلال هاتفه النقّال أو اللاب توب، من منزله أو من مكتبه. لكنَّ مصطلح «جيل الشباب» عند النقّاد والمشتغلين بالثقافة والكتابة، أصبح مصطلحاً عائماً وفضفاضاً، فمنهم مَنْ قرنه بالعمر، أي ما بين (20 – 40) سنة، ومنهم من غيّر هذه المعادلة العمريّة، ومنهم من رفض أن يكون العمر هو المِقياس.

إنَّ الالتفات إلى الشباب من أعلى مؤسّسات الدولة شيء مبهج، وله أبعاد إيجابيّة على هذا الجيل ومستقبله الذي ستُبنى عليه الدولة لاحقاً، إلّا أنَّ بعض الدراسات كما قلنا سابقاً لها تأويلات مختلفة حول هذا المصطلح، أي هل ما نقصد به أدب الشّباب هو الفئة العمريّة المعروفة والمتداولة، وفي ذلك نجد الاختلاف بين مدارس علم النفس والاجتماع، والمنظّمات الدوليّة، على تحديدها بدقّة، أي من سنة كذا إلى سنة كذا.

وقد تساءل البعض هل الموهبة يحكمها العمر؟ وبذلك نجد أعمالاً أدبيّة كثيرة لمن لم يتجاوز الأربعين أفضل وأكثر قيمة ممّن تجاوز الستين، وأكّدوا أنَّ الإبداع ليس بالعمر نهائيّاً، فقد يكون النبوغ مُبكّراً أو متأخّراً، وهنا يكون تحديد العمر ليس دقيقاً البتة، وعلّلوا ذلك أنَّ شرارة الإبداع قد تأتي في أعمار مختلفة.

لكن ما نحن بصدده هم أولئك الشّباب أصحاب التجارب الأولى، والمبدعين في الأدب أو الموسيقى أو الغناء أو المسرح، ولا ننسى أنَّ الظروف الاقتصاديّة والثقافيّة والاجتماعيّة، وانعكاسها على المجتمع، لها الدور الأساس في ذلك، فالثورة المعلوماتيّة الهائلة مثلاً، لم تكن متوفّرةً في العقود السابقة، وما تبعها من تأثير على الفرد والمجتمع، والأديب بلا شكّ هو جزء من هذا التحوّل المعرفيّ الضخم.

وبالتالي هناك الكثير من الأدباء الذين ضاعت مواهبهم المتميّزة؛ لأنّهم لم يجدوا الفرصة للظهور، سواء كان في الصحف الورقيّة ذات الحيز الضيّق، أو التلفاز، أو وسائل الإعلام الأخرى في نشر نتاجهم الإبداعيّ، بعكس هذه الحقبة التي نحن فيها، والتي يسّرت وسهّلت على الشباب الكثير، وذلك من خلال شبكات التواصل الاجتماعيّ.

وأنا من خلال تجربتي البسيطة في الكتابة، عرفتُ الكثير ممّن ضاعت مواهبهم في شتّى أنواع الإبداع، وقد مات الكثير من هؤلاء الأدباء بحسرتهم وقهرهم، ودُفنت معهم مشاريعهم الثقافيّة؛ وذلك لسوء وصعوبة الأوضاع الثقافيّة آنذاك، من نشر وتواصل مع الجمهور، ولقد عشنا فقراً ثقافيّاً صعباً من حيث النشر، فلم يكن هناك سوى حيز بسيط في الصحف الورقيّة، ولا مكان يجمع المثقّفين سوى رابطة الكُتّاب، أما من حيث وفرة وجودة الإنتاج، فكان أفضل وأعمق، واسألوا الأستاذ محمد المشايخ ستجدون عنده الإجابة الشافية.

وفي مقال مهم للأستاذ إبراهيم جوهر من فلسطين بهذا الخصوص، إنَّ الموهبة هي المقياس لأيّ عملٍ إبداعيّ، ولا يُقاس الإبداع بالسنوات، ويقول إنَّ الشاعر طرفة بن العبد

الذي لم يتجاوز خمسةً وعشرين سنة، قدّمَ ما يُخلّد اسمه، وهنا يقصد معلقته المشهورة «لخولةَ أطلالٌ ببرقةِ ثهمد ....»، وما زلنا نحفظها حتى يومنا هذا، وكذلك من الجيل المعاصر هناك أسماء كثيرة، نذكر منها الأديب غسان كنفاني وتجربته الإبداعيّة، وقد استُشهِدَ في بيروت عام 1972 عن ستة وثلاثين عاماً، والشاعر إبراهيم طوقان أيضاً في نفس عمر غسان كنفاني، والشاعر أبو القاسم الشابي، والسيّاب، وأمل دنقل.

ولا ننسى أنَّ نزار قباني كتب «قالت لي السمراء» وهو في العشرينيّات، وحنّا مينة كتب رواية «المصابيح الزرق» وهو في الثلاثين من عمره، وإلّا ظلّ حلّاقاً في الشام، ونجيب محفوظ كتب روايته «رادوبيس» وهو في العشرينيّات من عمره، وكذلك تشيخوف عميد الأدب الروسيّ والقصة القصيرة، كتب أول نصوصه في العشرين، وكذلك محمود درويش الحالة الاستثنائيّة في الشعر المعاصر، أرى أنَّ قصائده في الخمسين أكثر جمالاً ومتعةً وشباباً وحداثةً من قصائده في العشرين، وأقصد هنا ديوانه «أوراق الزيتون»، وأذكر قولاً للعقّاد هنا، حيث رأى أنَّ قصائد الشاعر الإنجليزيّ توماس هاردي في كهولته أكثر حيويّةً وتدفّقاً من قصائده في شبابه، وهنا يجبُ أن نُشهّر السؤال المهمّ، وهو هل يتابع النقّاد ما يكتبه الشباب؟ نترك الإجابة لأصحاب الاختصاص. وفي نهاية مقاله يخرج لنا السيد إبراهيم جوهر إلى أنَّ مسألةَ السِّنّ مسألةٌ قابلةٌ للنقاش والطعن، وأحببتُ أن أوردَ هذه الأسماء لتكونَ مُحفّزاً لشبابنا الطموح والمبدع.

لكن ما يهمّنا في هذه المقالة الإشارة إلى أدب الشباب في تجاربهم الأولى، التي بلا شكّ تحتاج لنقد وتصويب وتوجيه، بحيث يتكاتف الناقد مع المبدع الشابّ للاستفادة منه، وأيضاً من تجارب وخبرة الكُتّاب الكبار المبدعين، ولا ننسى أنَّ لكلّ وقت صلاة، فجيل اليوم يختلف عن جيلنا، بحيث أصبحت هموم الشباب غير تلك الهموم قبل عشرين أو ثلاثين عاماً، فجيلنا الذي عاش ظلال الهزائم، والنكبات والنكسات، والخيبات المتتالية، وما خلّفته تلك الخسارات على جيل كامل، لن يكون لها نفس التأثير على جيل الشباب اليوم، بل قد يكون ما يشغل تفكيرهم اليوم أسوأ من الكارثتين «النكبة والنكسة» معاً.

في بداية المقالة قلتُ: أيّها الشباب تريّثوا قليلاً... وهذه نصيحة لكلّ أبنائي وبناتي المبدعين، بألّا يتسرّعوا في نشر ما يكتبون في الصحف أو الإنترنت، أو عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ، وسيكون الضّرر أكبر وأكثر فجائعيّةً ومأساةً، إذا أصدر الشباب أعمالهم في كتاب شعر، أو قصة، أو رواية دون التريّث ومراجعة نتاجهم أكثر من مرّة، وعرضه على ذوي الاختصاص؛ لأنَّ المأساة بعد النشر تكون أكثرَ إيلاماً وندماً وحسرةً، واسألوا كتّابنا وشعراءنا عن ذلك، وأرجو ألّا يُصيبَ فيروسُ الغرور شبابَنا، ويلدغون من نفس الجُحر مرتين أو أكثر، فليس معنى أن يتابعك الآلاف من المُعجبين أنّكَ مبدع، بل قد يكون ذلك مؤشّراً سيئاً وسلبيّاً، ويُجمّد كتاباتك وإنتاجك عند مستوى فنّيّ منخفض، ويرجع ذلك إلى الشّعور الزائف بالرضا الإبداعيّ، كما أنَّ كثرة المدح الكاذب ممّن لا يفقهون شيئاً في الأدب، يكون ضرره كارثيّاً؛ لأنَّ النفاق في الأدب هو محاولة لقتل المبدع، وإشاعة الفوضى وتسفيه الأدب.

فيا أيّها الشباب... حذارِ ثم حذارِ من هؤلاء الجهلة، إنّهم فيروسات أشدّ فتكاً، يحاولون تلويث الجوّ الثقافيّ بكلّ السبل، لذلك فإنَّ هؤلاء الشباب في حاجةٍ إلى النقد التحليليّ الرصين البعيد عن المجاملة والمحاباة، ولا يعني ذلك أنَّ الساحة الأدبيّة الأردنيّة قد خلت من مبدعين شباب متميّزين، بل برزت عدة أسماء في الشعر والقصة والرواية، والفن والمسرح، لكن ما يُخيفني ويرعبني ذلك التطبيل والتزمير المستمرّ من تلك الجوقة الفاسدة والغريبة على المشهد الثقافيّ، الذي يرافق بعض الأسماء الضّحلة وغير المبدعة على حساب شباب ومبدعين استطاعوا أن يُنتجوا لنا

أدباً جميلاً ومبدعاً، وفيه من الحيوية والنشاط والاختلاف، واستفادوا من نفرة التكنولوجيا الحديثة، وأصبحوا أقدر على التعبير عن القلق الوجوديّ للإنسان المعاصر.

لكن مع هذا الإبداع الشبابيّ، هناك قصور نقديّ واضح وعزوف غير مبرّر، بل اكتفى بعض النقّاد بالتّأمّل والوصف الظاهراتيّ للنصوص الأدبيّة، ويقول البعض إنَّ ماكينة التواصل الاجتماعيّ قد هزّت عروش النقّاد، واكتفوا بالانسحاب السلس، أو كما وصفهم أحد الكُتّاب: «بأنّهم يضعون خرائط لجبال العالم، لكنّهم لم يتسلّقوا تلك الجبال قطّ»، كما أنَّ العلاقة بين الناقد والأدب بهتت بشكل واضح.

وكلُّ ما نُريده من النقّاد الحقيقيين هو العودة إلى ملعبهم المُفضّل، وألّا يتركوا ثغورهم أو يكونوا مُحايدين، بل عليهم مواجهة النصوص واكتشاف سحرها ومتعتها من نصوص هؤلاء الشباب وغيرهم، نُريد نقّاداً يعشقون النصوص ويضيئونها بمصابيح النقد والفكر والإبداع.

كما أودّ أن أُشير هنا إلى الخطوة والفكرة واللفتة الرائعة التي تقوم بها وزيرة الثقافة معالي هيفاء النّجّار، بالالتقاء بالكُتّاب الشباب ومَنْ يساهم في مجلة صوت الجيل من الكُتّاب، وتقوم بتشجيعهم وتكريمهم بشكل لائق في المركز الثقافيّ الملكيّ، وهذه بادرة محمودة وطيّبة، وتستحقّ الشكر والتقدير، وأنا بدوري أُحييها وأُحيي المسؤولين عن المجلة، ابتداءً برئيس تحريرها الأستاذ الأديب جلال برجس، وكذلك أسرة المجلّة.

كما أودّ أن ألفت أبنائي وبناتي المُبدعين إلى الابتعاد عن التقليد، ونحن لا ننكر مدى تأثير بعض الكُتّاب أو الشعراء على بعضهم الآخر، لكن يجب ألّا يصل ذلك إلى حدّ الاستلاب، فهنا يكون الخطرُ على المبدع، عليه أن يطرح نفسَه كاتباً متفرّداً له خصوصيته وحضوره، وألّا يكون ظلّاً لأحد، وهذه مهمّتكم أيّها الشباب، وكم نفرح حين يكون الأديبُ الأردنيّ، أو البطلُ الأردنيّ، أو العالِمُ الأردنيّ على منصّات التتويج.

وتذكرون كم فرحنا للأستاذ جلال برجس حين فاز بجوائز أدبيّة، وسبقه إبراهيم نصر الله، ووليد سيف، وغيرهم، ولا يتأتّى ذلك إلّا بتعزيز قدرات الشباب، وصقل مواهبهم وتطويرها ورعايتها، باعتبار الشّباب قيمة عليا في المجتمع، وثروة لا تُقدَّر بثمن، ولدينا في الأردن طاقات إبداعيّة هائلة، عليكم أن تفيدوا منها قبل أفولها وغيابها، وعليكم بالتريّث قليلاً قبل إصدار أيّ كتاب، وحاولوا أن يكون المولود الأول مولوداً كاملاً غير مشوّه، يقول روبرت فروست: «الوقوفُ برهةً في وجه التشويش والفوضى».

وفي نهاية مقالتي أرجو أن تكون رسالتي قد وصلت، وأتذكّر أيضاً أحد الرموز الثقافيّة الأردنيّة، ويُعَدّ من الرّوّاد في دعم المواهب الشابة، وقد رحل قبل أيام عن عالمنا، وهو معالي الشاعر علي الفزاع، صاحب برنامج «أقلام واعدة»، الذي كان يُبثّ من الإذاعة الأردنيّة، وكان مُتنفّسنا الوحيد في تلك الفترة، وكثير من الأدباء المحليّين وحتى خارج الأردن، كانوا من خرّيجي هذا البرنامج المهمّ، رحم الله الشاعر علي الفزاع الذي رعانا بحكمته وتوجيهاته عبر سنوات في ذلك البرنامج.

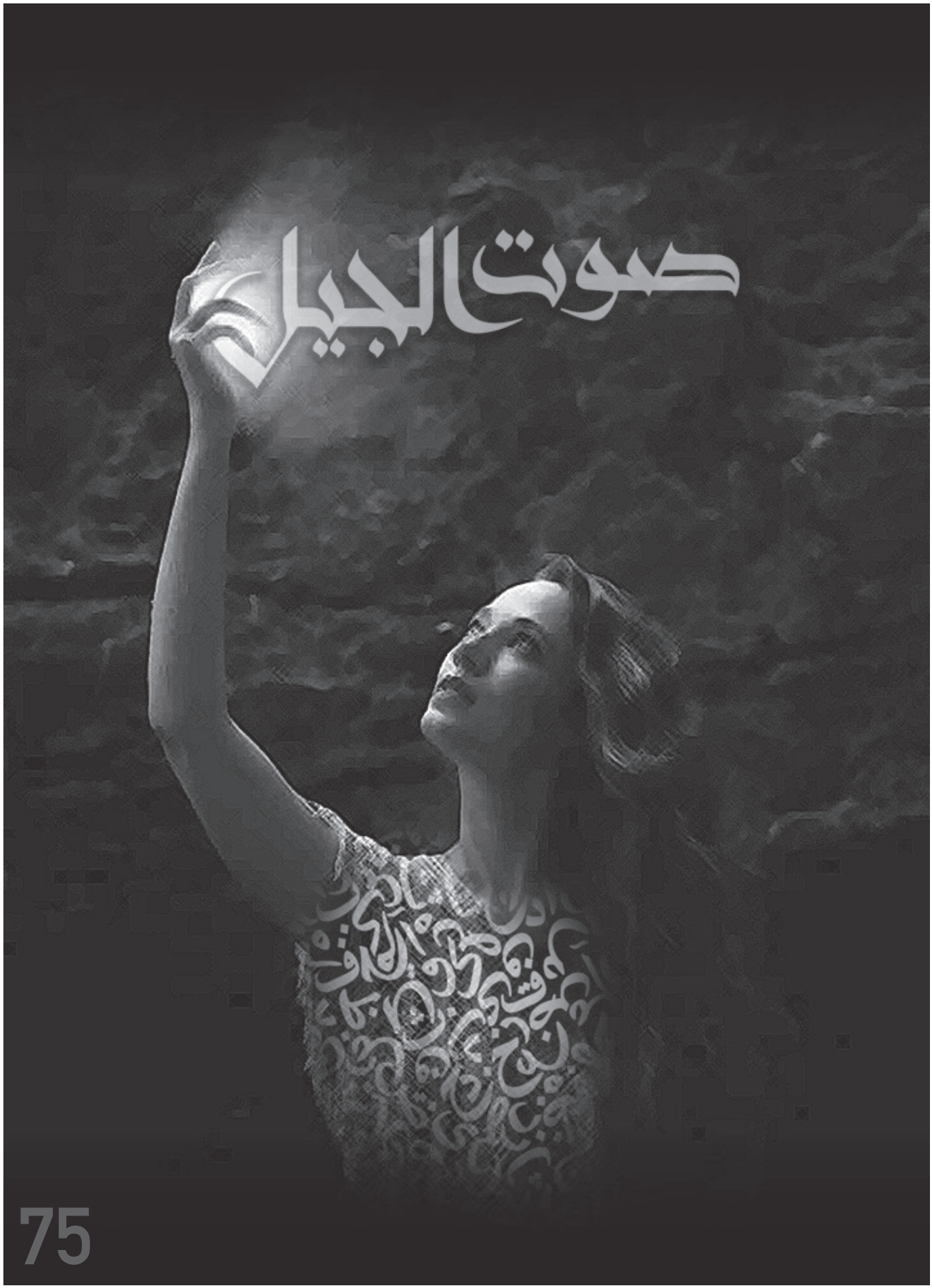
صوت الجيل

لوحة الفنان: ضياء العزاوي/ العراق

عمل الفنان: مكي حسين/ العراق

الأدباءُ الشّبابُ في العراق
بينَ متاهات الحريّة وتعدّد الأيديولوجيا

د. سعد التميمي

يبقى الأدباءُ الشّبابُ في العراق حاضرينَ في الساحة الأدبيّة، وفاعلين وتوّاقين للتميّز والتحديث للتعبير عن الواقع، وتقديم رؤية جديدة للتعاطي مع الأدب بأجناسه المختلفة، من خلال استلهام التراث الفكريّ والأدبيّ والإبداعيّ، والإفادة من الآخر بما يقدّمه من رؤى وأفكار يمكن أن تساعدهم في التعبير عن عصرهم بصدق.

وطالما كان الأدباءُ الشّبابُ في صدارة من يتصدّى للتحديث والتجديد في الأدب، فالسّيّاب، ونازك، والبياتي، وشاذل طاقة، وبلند الحيدري، كانوا في العشرينيّات من العمر عندما تصدّوا للتحديث في شكل القصيدة ومضمونها، وكذلك فعل بعدَهم جيل الستينيّات والسبعينيّات والثمانينيّات، الذين أسّسوا منتدى الأدباء الشباب، وأحدثوا حركة ثقافيّة فاعلة، وأصدروا مجلة (أسفار) المتميّزة، ونجحوا في التعبير عن طموحاتهم في الأدب، فحفّزوا النُّقّاد، ونقلوا القصيدة خارج أسوار الوطن، بالرغم من أنّهم جيل الحرب.

ومثلهم فعل جيل التسعينيّات عندما قدّموا مشروعهم الشعريّ (قصيدة النثر)، تحت وطأة الحصار، وقد عبّروا فيه عن رؤيتهم للقصيدة العربيّة في نهايات القرن العشرين، القائمة على أنَّ التحديث في القصيدة لا يرتبط بشكل القصيدة، وقد نقلوا رؤيتهم للفضاء العربيّ. وبعد اجتياز عقود من الحروب والحصار، والنزاعات والأزمات الاقتصاديّة، لاحت في الأفق، ومنذ عدة سنوات، مرحلة شديدة الأهميّة للتنمية، وإعادة الحياة الثقافيّة والاجتماعيّة لبلاد ما بين النهرين، موطن الحضارات، التي تركت أثرها الثقافيّ الواضح على حضارات العالم.

تمثّل ذلك في الاستقرار واستتباب الأمن، فالتفت الأدباء الشباب إلى طموحاتهم الإبداعيّة فهم كالعنقاء أو الفينيق الذي يحترق ليولد من جديد من الرماد، على حدّ قول درويش: (كلّ يوم نموت، وتحترق الخطوات وتولد عنقاء/ ناقصة ثم نحيا لنُقتل ثانيةً). فهم متمسّكون بالحياة، ومتطلّعون إلى تشكيل مستقبل زاهر على وفق رؤية شبابيّة تعزّز التماسك المجتمعيّ، وتنهض بالواقع المعرفيّ والثقافيّ والإبداعيّ إلى ما يحلمون به.

وإذا كان أدب الشباب قد ارتبط بمرحلة عمريّة معيّنة، فإنَّ الإبداع والتميّز مرتبط بالنصّ وخصائصه الفنيّة، لا بعمر الأديب، وهذا ما تؤكّده تجارب شعريّة لبعض الأدباء الشباب، حقّقت حضورًا متميّزًا لا يقلّ عن تلك التي كتبها الأدباء الكبار، فالأدوات التعبيريّة للأديب هي من تحدّد قيمة النصّ وعمره، وهنا يأتي دور النّقّاد في متابعة أدب الشباب ورعايته، وتوجيهه أحيانًا والتنويه به، وهذا ما فعله بعضهم، مثل الناقد حاتم الصكر مع جيل الثمانينيّات.

وبالرغم من الظروف العصيبة التي مرّ بها العراق لعدة عقود، فإنَّ الحراك الثقافيّ ظلّ سمةً بارزةً وحاضرةً بقوة، وفي الغالب كان الأدباء فاعلين بشكل كبير، تمثّل ذلك في نتاجاتهم الإبداعيّة التي حملت هواجسهم ومعاناتهم، وآراءهم وطموحاتهم بمستقبل جميل.

ومهما اختلفت الآراء حول مستوى الأعمال التي يقدّمها الأدباء الشباب، ومدى نجاحها في إيجاد مكان بجوار ما قدّمه الأدباء الكبار من أدب رفيع في مطلع النهضة العربيّة الحديثة، فإنّهم استطاعوا أن يعمّقوا تجاربهم، من خلال مشاركاتهم في المهرجانات والمسابقات المحليّة والعربيّة، وتحقيق نتائج باهرة.

فضلاً عن ذلك، فإنَّ الأدباء الشباب امتداد للشعريّة العربيّة والعراقيّة بشكل خاص، منذ العصور القديمة، وانتهاء بالأجيال الحديثة، من خلال الاطلاع والقراءة لمن سبقهم، والإفادة من بعض التجارب المتميزة، بَدْءًا بالمتنبي وأبي تمام وبشار، وانتهاء بالجواهري والسيّاب ونازك، وعبد الرزاق عبد الواحد، وسعدي يوسف، وسركون بولس، وسامي مهدي، وفاضل العزاوي، وحسب الشيخ جعفر، فضلاً عن أدونيس، والماغوط، وأنس الحاج، وفضلاً عن الكتّاب أمثال غائب طعمة فرمان، وفؤاد التكرلي، وعبد الخالق الركابي، ومحمد خضير، لكن من دون الوقوع في شباك التقليد الذي يمسخ شخصية الأديب؛ رغبة في إثبات وجودهم وقدرتهم في الالتحام بالواقع، ومعايشة معاناة الناس، والتعبير عنها بطريقة مختلفة.

متاهة الحريّة وتعدّد الأيديولوجيا:

بعد عام 2003 بدأت مرحلة انتقاليّة ونقلة كبيرة في الواقع السياسيّ والاجتماعيّ العراقيّ، نتج عنها ظهور جيل ما بعد التغيير، تحرّر من سطوة الأنظمة الدكتاتوريّة، وامتلك حريّة التعبير، وتخلّص من القيود التي كان يعاني منها الأدباء قبل هذا التاريخ، وحاول أن يستثمر الحريّة المُفترَضة، لكنّها أخذته إلى متاهات متعدّدة؛ بسبب الفوضى التي عصفت بالوطن، ونتج عنها تعدّد الاتجاهات الفكريّة للأدباء.

وفي المقابل بعد أن تخلّص من الأيديولوجيا الواحدة، اصطدم بأُخَر متعدّدة: دينيّة، وفكريّة، واجتماعيّة، فضلاً عن رؤى فنّيّة متعدّدة، لذلك خلال العقدين المنصرمين من تاريخ الاحتلال، نحن أمام أكثر من موجة من الشعراء والكُتّاب في العراق، اتّسمت فيها الكتابات بالتجاور بين الأشكال الشعريّة، وتراجع الصراع والإقصاء، وتداخل الأجناس، والتنوّع في تِقنيّات كتابة القصة والرواية، التي توزّعت بين الديستوبيا وتوظيف التاريخ، والجنوح نحو العجائبيّة، بعد أن كانت معظم الأجيال السابقة في القرن الماضي تتحرّك تحت مِظلّة الأيديولوجيا واشتراطاتها، بالرغم من اهتمامهم بفنيّة الكتابة وشكلها.

أمّا بعد 2003، فإنَّ الأدباء – والشباب منهم بشكل خاصّ – تحرّروا من الأيديولوجيا إلى حدّ كبير، بعد أن غاب الرقيب الأيديولوجي، وإنْ حضرَ رقيبٌ في شكل آخر، فضلاً

عـن أنّهـم تصـدّوا لتنفيـذ مشـاريعهم الإبداعيّـة دون دعـم كبيـر مـن المؤسسـة الثقافيّـة، محاولـين أن يتخلّصـوا مـن الأُبـوّة، وأن يقدّمـوا مشـروعهم الخـاص، وهـذا مـا فعلـه مجموعـة مـن شـعراء هـذه المرحلـة – منهـم (ميثـم الحربـي) – الذيـن يكتبـون مـن دون المـرور مـن بوابـة الأيديولوجيـا، أو الخضـوع لنسـق أو أبـوّة، وهـم يبحثُـون عـن هُـويّة، ويسـبحون في مـاءٍ مُعتمٍ، يخرجـون مـن رمـاد الحـروب، ويبحثـون عـن معنـى.

وهـم مُثقلـون بحمولـة قيميّـة مُلتبسـة، وقـد قدّمـوا أنفسـهم في كتـاب (تلويحـة لأحـلام ناجيـة: شـعريّة عراقيّـة جديـدة، أنطولوجيـا الجماعـة التأسيسـيّة مـا بعـد 2003)، مـن إعـداد وتقـديم: الشـاعر حسـام السـراي؛ ليوثّـق مـا قدّمـه مجموعـة مـن الشـعراء العراقيـين في قصيـدة النثـر بعـد نيسـان 2003، وهـم أحمـد عـزاوي، حسـام السـراي، زاهـر موسـى، صـادق مجبـل، صفـاء خلـف، علـي محمـود خضيّـر، عمـر الجفـال، مؤيـد الخفاجـي.

ومـن شـعراء هـذه المرحلـة: عمـر السـراي، ويـاس السـعيدي، وجاسـم بديـوي، ورضـا البلـداوي، وأحمـد عبـد السـادة خالـد الحسـن، وعلـي وجيـه، وصفـاء خلـف، وأفيـاء الأسـدي، وعليـاء المالكـي، ومهنـد الخيكانـي، ومؤيـد الخفاجـي، وحسـين الأسـدي، وعلـي نفـل، وزيـن العابديـن يونـس، ووسـام العانـي، ومصعـب علـي، ومحمـد إدريـس، وسـلام جليـل، وحسـين هليـل، ومحمـد حسـين جبـري، وزيـن العابديـن المرشـدي.

وفي مجـال السـرد في السـنوات الأخيـرة، هنـاك تجـارب مهمـة، يُشـير إلـى بعضهـا الروائـيّ الصديـق محمـد شـريف، مثـل زينـب اليانـور، صاحبـة روايـة (لعنـة الوجـود) ذات البعـد الفُلسـفيّ، إذ عالجـت أسـئلة المصيـر، وبـؤرة الكينونـة بلغـة رشـيقة، دون تحديـد المـكان والزمـان، إشـارة إلـى أنَّ الأسـئلة الكونيـة لا تحدّهـا الزمكانيـة. وتمـارا شـاكر صاحبـة روايـة (مذكـرات بيـت بغـدادي)، التـي اتّسـمت بالجـرأة في جعـل البيـت سـاردًا في خطـوة تعمّـق صمـت الإنسـان إزاء خـراب الأمكنـة والتواريـخ، وهـي بهـذا عـرّت قدرتنـا كبشـر في صناعـة الأحـداث؛ لأنَّ البيـت هـو مَـنْ يتولّـى إعـادة صياغـة الحيـاة، طبقـاً لتاريخـه المعـاش.

وعلـي السـجاد صاحـب روايـة (صـورة بلوحـة الـدم)، التـي ناقشـت حـراك تشـرين؛ بوصفـه اللحظـة الاجتماعيّـة القاهـرة للطبقـة السياسـيّة الفاسـدة، والروايـة فيهـا مـن الخطـوط الثانويّـة التـي أثـرَتْ بقيمهـا أفكارَ ثـوّار تشـرين. وغيـث الربيعـي

لوحة الفنانة كفاح آل شبيب/ العراق

صاحب رواية (توحّد)، التي طرحت أزمة الوعي الاجتماعيّ، وصراع ثالوث: (السياسية والدين والجنس)، بلغة محايدة، وإن كانت تميل أحياناً صوب الانحياز للخطاب الدينيّ، طبقاً إلى لاوعي الكاتب.

وهناك أسماء أخرى، مثل أمير رأفت، وخالد مهيدي، ومروة جعفر، وقد كانت السمة الغالبة على أدب الشباب في هذه المرحلة ملامسته العمق الإنسانيّ، ومعاناة البشر وآلامهم، ومتاهات التفكير، بما يطرحه من أسئلة تعكس ماهيّة الوجود، فإلى أيّ مدى نجح في التعبير عن الواقع الاجتماعيّ واستشراف مستقبله؟ وما هي أبرز تحدّيات الكتابة لدى الأدباء الشباب في العراق؟

ذلك ما يجب أن يتوجّه إليه النقد، الذي ما زال بعيدًا عن هذه التجارب، بالرغم من أنّهم جيل كبير انفتح على بوابات العالم: التكنولوجيّة، والفكريّة، والفلسفيّة، وأصبح قريباً ممّا كانت تحلم به الأجيال السابقة، فلا يحتاج أن يجنح بخياله للوصول إلى أبعد نقطة في العالم، وقدّمت له شبكات التواصل الاجتماعيّ فضاءً واسعًا للنشر والتواصل مع متلقّيه بشكل مباشر.

وقد استطاع هذا الجيل أن يختزل الزمكان للوصول إلى طرحه في التعبير عن نفسه بحريّة، والرغبة في المساهمة في خلق الجمال في محيطه، وهو جيل غادر الصراعات الأيدولوجيّة أو الأدبيّة؛ لتفاعله مع الأحداث الدامية والانهيارات الكبيرة، التي مرّ بها العراق، فنصب اهتمامهم على تجاربهم الخاصة، فبتنا نسمع إلى قصيدة الشطرين، وقصيدة النثر معًا، في محفل واحد، وأحيانًا التفعيلة.

أخيرًا نقول إنَّ أدب الشباب في العراق، وأعتقد في العالم العربيّ، يحتاج إلى وقفات نقديّة عميقة؛ أسوةً بما توافر للأجيال السابقة لفرز الإبداع عمّا يُكتب تحت مظلّته في الشعر والسرد؛ لاستسهال بعض مَنْ يدّعي الشعر والكتابة، واستغلال وسائل التواصل للترويج لكتاباتهم.

عمل الفنان: عماد الظاهر/ العراق

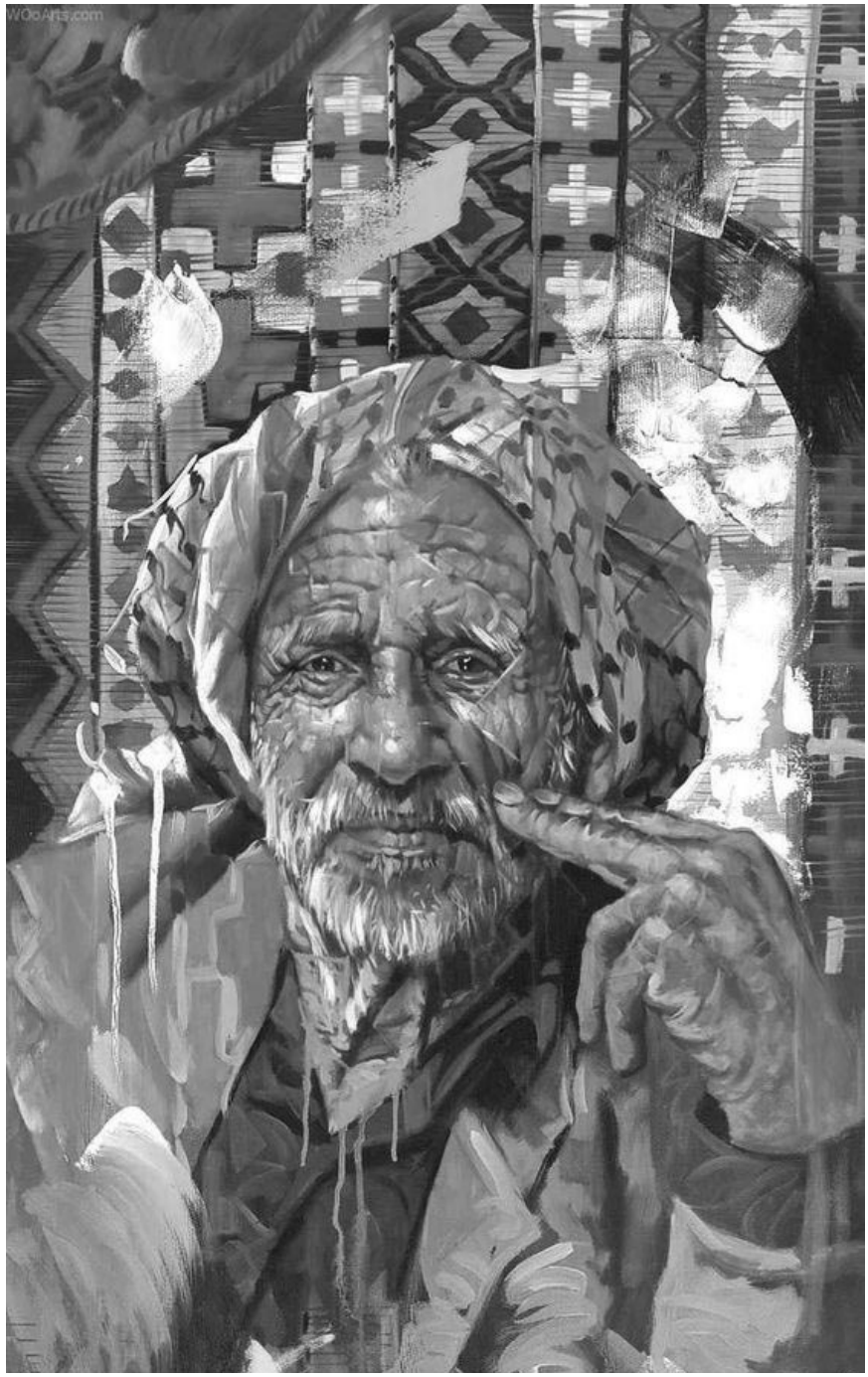

لوحة الفنان علي نعمة/ العراق

مأساةُ الكاتبِ الموهوبِ مع القارئِ السّيّد

إيهاب مصطفى

مأساةُ الكاتبِ الموهوبِ مع القارئِ السّيّد

إيهاب مصطفى

لا شكّ أنّنا نعيش في مرحلة ليست الأفضل في الثقافة العربيّة، ولا شكّ أنَّ هناك أسباباً كثيرةً لهذا الانحدار، منها أنَّ كثرة أعداد الكُتّاب سمحت بتمرير «المديوكرز» أو أنصاف المواهب للقارئ، على اعتبار أنّهم مواهب أصيلة، وما بين الجيل الحاليّ والأجيال الماضية، كانت هناك الكثير من عمليات الفرز وإنصاف الموهوب على حساب الضعيف.

كيف كان الكُتّابُ الكبار يتعاملون مع المواهب؟

كان هناك العديد من الكُتّاب الكبار في جيل الستينيّات من القرن الماضي، وكان كلّ هَمّ هذا الجيل هو التبشير بالمبدعين من أصحاب الوعي الكبير في الكتابة والمعرفة بآليّات الكتابة نفسها، ومن ثمّ القدرة على ابتكار أساليب جديدة وأفكار مغايرة، وإدارة حقيقيّة للأفكار، ومن هنا فإنَّ كتابة أديب كبير عن كاتب جديد، كان بمثابة شهادة ميلاد جديدة للمكتوب عنه ككاتب، وبالتالي كان هذا يُساهم بقوةٍ في رفعة الأدب، والسماح بانضمام الشابّ القادر الموهوب ليكونَ كاتبَ الغد، ومن هنا كان التبشير بالمواهب الجديدة، ومن هنا لاقى الكُتّاب الجُدد الكثير من الترحاب مثلما حدث مع محمد المخزنجي.

نشر القاصّ الدكتور محمد المخزنجي العديد من القصص في بداياته في سبعينيّات القرن الماضي، وكان الأديب الكبير نجيب محفوظ من أول مَنِ احتفَوْا بكتابة المخزنجي، فحين صدرت مجموعته القصصيّة «الآتي»، فوجئ بنجيب محفوظ يقول في حوار صحفي: «إنّها قصصٌ قصيرة جدًّا، ولكنّها ممتازة، بحيث إنّها تُكتب في أضيق حيز، ولكن كلّ قصة لها معنى واسع، وهي تدلّ على مقدرة فنّيّة فذّة في عالم القصة القصيرة».

ولم يكن محفوظ فقط من تحدّث عن المخزنجي، وإنما يوسف إدريس أيضًا، ومن بعده الكاتب الكبير خيري شلبي، ففي مقال له في عام 2004 كتب في مجلة الهلال يقول: «سأظلّ أفخر دائماً بأنّني كنتُ أول من صوته ارتفع مُهلِّلاً بالفرح على صفحات جريدة الأهرام؛ ابتهاجاً بمولد قاصّ غنائيّ شاعر، اسمه محمد المخزنجي؛ بمناسبة صدور أول مجموعة قصصيّة له بعنوان «الآتي» في ثمانينيّات القرن الماضي».

كلّ هذه الكتابات عن المخزنجي جعلته يقفز للمصافّ بسرعة كبيرة، وأن يتبوّأ مكانة كبيرة بمجموعة واحدة، أعلن فيها عن نفسه وبقوة، ولاقت المجموعة كلّ هذا الترحاب وكلّ هذا الوميض، ومن هنا كان الآتي مثل بشارة، وأثبت المخزنجي في كلّ مجموعة قصصيّة أنّه الموهوب الحقيقيّ الذي يقتنص اللحظة ويكتبها بحنكة شديدة.

ليس المخزنجي فقط من قوبل بكلّ هذا الترحيب، وإنّما بهاء طاهر أيضًا، الذي كتب عنه الكثير من الأدباء، وبشّرَ به يوسف إدريس عندما قرأ قصصه، والحقيقة أنَّ يوسف إدريس وحده كتب عن الكثيرين من الأجيال اللاحقة، علماً بأنَّ كتابة يوسف إدريس عن كاتب ناشئ يجعله في مصافّ الكُتّاب الكبار؛ لأنَّ إدريس لا يجامل، لكنّه يكتب بناءً على وعي وقدرة، وهو الكاتب الذي أُطلِقَ عليه تشيخوف العرب.

كما أنَّ نجيب محفوظ لم يُقصّر في هذا الأمر، وكان يتحدّث عن الكُتّاب الشباب في كلّ محفل بحسب ما حكى عنه المؤرخ الثقافيّ إبراهيم عبد العزيز، الذي أصدر العديد من الكتب عن سيّد الرواية العربيّة، كما أنَّ عبد الفتاح الجمل الذي كان يترأّس الصفحة الثقافيّة في جريدة المساء، كتب عن الكثيرين، وكان يرسل القصة القصيرة لناقد كبير وينشر القصة بنقدها في مكان واحد، ومن هنا ظهر الكثير من الكُتّاب. وأيضًا يحيى حقي الذي كان رئيسًا لتحرير مجلة المجلة، الذي ساهم كثيراً في فوز الأدباء الشبّان بجوائز كثيرة، منها جوائز الدولة التشجيعيّة حين كان يُراسل الأديب الناشئ، ويطلب منه مجموعته، ويُشدِّد عليه بأنّه لا بدّ أن يقدِّمها للتشجيعيّة، كما حدث مع الأديب النوبيّ يحيي مختار.

كيف سار جمال الغيطاني على النهج؟

كان جمال الغيطاني مؤمناً بالمواهب الجديدة بشكل لا يُصدَّق، حتى إنّه حينما تولّى رئاسة تحرير أخبار الأدب، أرسل للعديد من الموهوبين من الشعراء وكُتّاب القصة؛ ليكونوا نواةً حقيقيّةً للصحيفة، وكان هؤلاء الكُتّاب من أقاصي الصعيد والدلتا وغيرها، ونجح الغيطاني في أن يستقطبَ العديد من الشّبّان الذين فازوا بعد ذلك بالعديد من الجوائز الأدبيّة، ومنهم حسن عبد الموجود، والسيّد العديسي وكثيرون غيرهم.

كما أنّه كان السببَ في سفر الكاتب الكبير أحمد أبو خنيجر إلى فرنسا، حين طلب منه أن يرشّح أديباً واعداً لمؤتمر كبير هناك، فرشّح أحمد أبو خنيجر، الذي تُرجِمت روايته «خور الجمال» للفرنسيّة، والعديد من الإسهامات كانت لجمال الغيطاني الذي يُعَدّ واحداً من أكبر المُبشّرين بالموهوبين.

لماذا حاد المثقفون عن الدور؟

في الفترة الأخيرة تلاشت كثيراً فكرة التبشير بالموهوبين ودعمهم؛ ليكونوا النواة القادمة لحمل صكوك الأدب ولوائه،

ومن هنا فإنَّ مرحلة كبيرة من التخبّط تجري، وترك الجميع مهمّة الفرز للقارئ، والقارئ هنا مختلف حيث تختلف الشرائح للقرّاء، وتاه الموهوب مع أنصاف الموهوبين.

أذكر أنّني أجريتُ حواراً مع الدكتور محمد المخزنجي، الذي تحدّث عن هذه النقطة وفسّرها تماماً، يقول: «أنا أُشفِقُ على الأجيال الجديدة، أشعرُ بأنّ هناك واجبًا لتزكية شخص معروف من الوسط الثقافيّ، لكنّ سهولة النشر، بل فوضاه، تجعل من الفرز أمرًا صعبًا، إضافة للإحساس العامّ بأنّنا نعيش – كجنس بشريّ لا كأمّةٍ فقط – وكأنّنا نكابد الطوفان، نحاول أن ننجوَ من الغرق، وهذا لا يُتيح الكثير من صفاء الروح الذي يُتيح أريحيّة الفرز.

بالنسبة لي لم أقاوم كثيراً الإسهام في تزكية كتابات جيّدة وكُتّاب أراهم جيّدين، لكنَّ الأمر صار فوق القدرة على الاحتمال، لهذا توقّفتُ آسِفاً عن لعب هذا الدور؛ لأنَّ طاقتي بالكاد صارت تكفي ما يمكن أن أكتب، وما ينبغي أن أقرأ، وصرتُ أعتذرُ آسِفاً عن لعب هذا الدور، حزيناً على مواهب يمكن أن تتوه في الزحام والفوضى، خاصة في زمن هذا الطوفان العولميّ الاستهلاكيّ المصاحب لانفجار سكانيّ مُربك، وتغيّر بيئيّ مقلق، لكن يظلّ الرّهانُ على الأمل في أنَّ الجيّد لا بدّ أن يظهر ويعتلي مكاناً ما، مكاناً صغيراً.

كيف يظهر الجيّد؟

كانت كتابة الأدباء الكبار جسراً آمناً يمشي عليه الموهوبون، والآن انتهى هذا الجسرُ وأصبح على الكاتب الشابّ أن يبنيَ جسورَهُ بيده بكلّ ما فيها من قلق؛ لأنَّ الكاتب الشابّ الموهوب يحتاج من الكبار أن يُذكّرونه بأنَّه موهوب وقادر، وأنَّ كتابته جيّدة، فكيف يُدرك الكاتب الشابّ أنَّ كتابته جيّدة من دون عين لاقطة ولمّاحة، ترى النصّ بشكل آخر، وكيف يدرك الكاتب أنّه موهوب من الأساس في غمرة زحام النشر وفوضاه كما قال المخزنجي.

مأساةُ الكُتّاب الشباب

الذي لا يدركه الكثيرون أنّنا في مأساة كبيرة، وأنَّ شباب الكُتّاب الحاليّين مظلومون من الكلّ، الموهوب فيهم وأنصاف الموهوبين أيضاً؛ لأنَّ هذا ضاع في ذاك، فلا أحدَ يقول للموهوب إنَّه موهوب، فيكتب كثيراً، ولا أحدَ يُذكّر نصفَ الموهوب أنَّهُ نصف موهوب فيقرأ كثيراً، وضاع الكلّ في الكلّ، وأصبح القارئ هو السيّد الأوحد، ومعايير القارئ هنا يمكنها أن تُعليَ من شأن كاتب يحكي فقط عن أمّنا الغولة بنفس سياق أمّنا الغولة في التراث الشعبيّ، ومن هنا كانت الكارثة، ومن هنا يجب التصحيح.

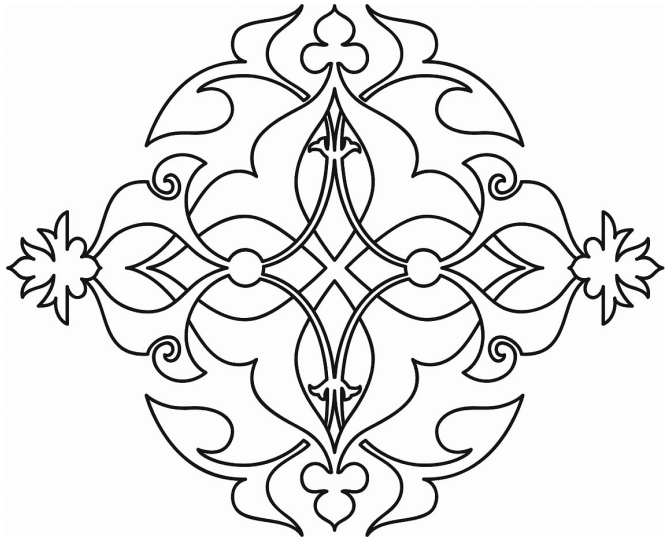

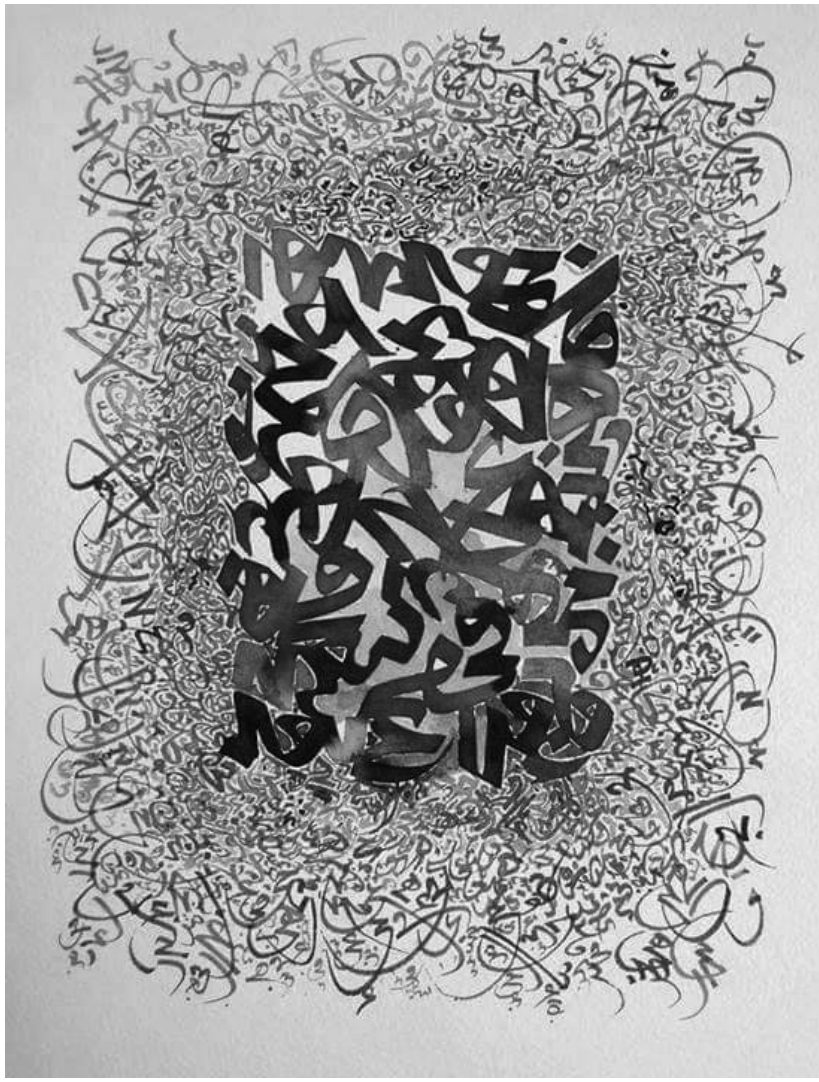

لوحة الفنان: خالد السباع/ الجزائر

درج الكلحة/ الأردن

نقوش

دَرَجُ الكلحةِ

ياسمين عكه

دَرَجُ الكلحةِ

ياسمين عكه

سوف تلتقط أنفاسك مرّتين على الأقلّ وأنتَ تصعده، لكنّكَ عند عتبة الوصول سوف تندهشُ إذا كنتَ تصعدُهُ للمرّة الأولى.. سوف تلتقي فيروز وعبارة «شايف البحر شو كبير..»، ثمّ بخطّ كبير «أنا عربيّ»، ثمّ درويش بملامحه الحزينة يُخبرك «على هذه الأرض ما يستحقّ الحياة»، مارسيل بوقار شيبه، وكُتِب بجانبه «ونحن نحبّ الحياة إذا ما استطعنا إليه سبيلاً».

ثمّ بابٌ مثيرٌ للتساؤل مصنوع من بقايا الأخشاب، جدارٌ كبيرٌ يشبه جدران الحرب في تآكله من الأعلى، رُسِمَ رأسُ طفل نائم حزين، قد تظنّ لوهلةٍ من الزمن أنّه كذلك؛ بسبب الجدار المهترئ!

على يسارك «زيزفون» مقهى الفنّ والموسيقى، وعزوتي، وهي تلك الفكرة الرائعة التي خرجت من عقول شبّان يحبّون الخير وهذه البلاد.. ثمّ تُسارع الخُطى لتجدَ أمّ كلثوم بانتظارك وقد أخذتَ تُدندنُ بأغنية «اِنتَ عمري»، صاحبة أعظم لحن في تاريخ البشريّة.

ولم تنسَ هذه الجدرانُ الرّسّام الهولنديّ «فان كوخ»؛ لتجدَ أشهرَ لوحاته ليلة النجوم هناك، بوسطها نافذةٌ عتيقةٌ لطيفةُ التصميم... وقد يخطر على بالك امرأة شابّة تُطلّ منها بعيونها، تبحث عن حبيبها الذي لم يظهر منذ أيام.

ثم تسمعُ صوت الموسيقى وأنتَ مُغرَمٌ بها، وتمشي إليها مُتتبِّعاً الألحان؛ لتجد نفسك أمام جدل، تسترقُ السّمعَ من عند الباب، ومن حسن حظّك تبدأ أغنية التشوبي لتقول المُغنّية: «وامانه عليا لاغنيلك موّال على نغمة بغداد على وزن تشوبي... ولا تواخذ لون عيوني إذا العين جت بالعين». وتغمض عينيك وتنتهي الأغنية بجملة بغداد دار السلام.

وتحفظ الشعور واللحظة للأبد، وتقرّر نزول الدرج مرّةً أخرى؛ لتنتبه ليمينك، وتجد في الأعلى فندق صغير بنوافذ صغيرة.. محل بيع كتب.. مقهى «ذكريات البلد»، ولوحة إعلانيّة كبيرة كُتِبَ عليها «مشغل قطايف أبو علي... صيفاً وشتاءً يرحّب بكم». وتنتهي الدهشة إلى هنا، وتلتقط أنفاسك بسعادة قبل أن تعود لضوضاء السيّارات وأحاديث روّاد الرّصيف.

هذا هو «دَرَجُ الكلحة» الذي تغفر له مشقّةَ صعوده عندما تلمحُ فيروز ودرويش ومارسيل على جداره.

© Abdellah Z

RIVIERA HOTEL
Special Wing For Families
Internet Service
kafafi
EXPRESS
0799102049

لوحة الفنان: حفيظ قسيس/ الأردن

الفنانة منى سامي شريف عبدالله، الأردن

الفنانة إيمان الفايز/ الأردن

صوت الجيل
وزارة الثقافة
العدد ٥٠ من الإصدار الجديد ٢٠٢٥
مجلة تعنى بالإبداع الصيفي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية